ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ ܕܣܘܪ̈ܝܝܐ ܒܚܠܒ

المكتبة السريانية بحلب

جانب مطرانية السريان الأرثوذكس بحلب

هاتف 4645848 فاكس 4659422 ص.ب 4194

E-mail: josephshabo@maktoob.com

ܒܝܬ ܡܪ̈ܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܐܝܟ ܒܡܩ̈ܕܫܐ
ܘܢܗܘܐ ܡܢ ܒܝܬ ܡܠܟܐ ܘܫܒܪܐ ܕܢܦܩܘ ܢܟܠ ܘܐܦ
ܠܡܠ ܠܗ ܫܒܪܐ ܠܐ ܢܦܩܘ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܪܐ ܒܝܬ
ܠܟܬ̈ܒܘܗܝ ܢܦܝܠ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

١

كتاب القصارى

في حلّ ثلاث مسائل تاريخيّة تتعلّق ببلاد الشام وما يجاورها

وفيهِ شرح طويل في الطقوس المسيحيّة

من قلم الحقير

اقليميس يوسف داود

مطران دمشق على السريان

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨٧

بالرخصة الرسمية من مجلس المعارف في ولاية سورية الجليلة

يباع في مكتبة جمعية مار منصور ببيروت

اما بعد فان الذي حملني على اتحاف اهل بلاد الشام الافاضل الكرام بهذه الرسالة الوجيزة هو وقوفي على ما جرى في هذه الايام بين قوم من اهل هذه البلاد من ذوي الفضل والمرتبة من المباحثة والمذاكرة في ثلاث مسائل تتعلّق بتواريخ وطقوس سوريّة وما يجاورها اي بلاد فلسطين . وقالوا فيها اقوالاً شتى * المسألة الاولى منها في اللغة التي كان اهل اورشليم وسائر بلاد فلسطين يتكلمون بها في زمان المسيح * الثانية في اللغة التي كانت اهليّة عامّة في بلاد الشام قبل ان استولت عليها اللغة العربيّة * الثالثة في لغة طقس البيعة الانطاكيّة واصل الطقس الروميّ المستعمل عند الملكيّين في بلاد الشام * واذ كنت قد حويت بين صُحُفي تعليقات متفرّقة كانت قد عرضت لي في اوقات الفضاء تتضح بها هذه المسائل وتُحل حلاً شافياً . رأيتُ ان اجمع هذه التعليقات وأُرتّبها وأكمّلها واضمّنها في رسالة وجيزة . عسى ان يُنال بها الارب ويُجلى الشك عن اليقين * كل ذلك مع علمي بان هذه المسائل قد صُنّفت فيها كتب في اللغات الافرنجيّة بل انّهُ في العربية نفسها قد ظهر منذ زمان غير بعيد من احدى مطابع بيروت كتاب يبحث فيه مؤلفهُ الجليل (وهو من مشاهير علماء عصرنا في هذه البلاد) عن شيء من هذه المسائل بحثاً مفصّلاً واجاد . غير ان هذه الكتب لا تنالها يد كل احد ولا تحوي كل البراهين التي حصّلتها انا من بحثي ولا سيما التي هي مبنية على الاعتبارات الفيلولجية اي اللغوية . فرأيت ان لا مانع ثمّ من ان انشر رسالتي هذه . وقد فوّضت الحكم فيها الى اساتيذ العلم ذوي المطالعة والتحقيق في هذه المسائل عسى ان يحكموا لي باني اصبت المرام *

المقالة الاولى

في بيان اللغة التي تكلم بها يسوع المسيح وامهُ المغبوطة ورسلهُ . اي ما هي اللغة التي كانت دارجة في اورشليم وسائر بلاد فلسطين في زمان المسيح *

نقول: زعم بعض المتأخرين انَّ لغة المسيح الاهليَّة كانت اللغة اليونانيَّة كأنها هي كانت اللغة الدارجة المتغلّبة في فلسطين وبلاد سوريَّة في ذلك العصر منذ استولى عليها السلوقيُّون خلفاء الاسكندر ذي القرنين * ولكن من كان له المامٌ بالتواريخ القديمة يحكم انَّ هذا الزعم فاسد لاصحة له . اذ يعلم انَّ اللغة التي تكلّم بها المسيح اي اللغة الدارجة في اورشليم وسائر بلاد فلسطين في زمان المسيح لم تكن اليونانيَّة ولا العبرانية لكن السريانيَّة التي يقال لها ايضاً الارامية . وبعضهم يسمّيها ايضاً الكلدانيَّة[1] . اذ كان اليهود قد تعلّموها لمّا كانوا في جلاء الكلدانيّين ببابل في القرن السادس قبل المسيح وبقوا يستعملونها بدل اللغة العبرانية لمّا رجعوا من

(١) ان العامة عند اليهود تسمي هذه اللغة السريانية بلفظة الترجوم اي الترجمة واما في كتبهم فتسمى الارامية والسورّية اي السريانية . والقلم المربع الذي يستعملونهُ الى اليوم يسمونهُ الآثوريّ نسبةً الى بلاد آثور اي نينوى . وهذه اللغة السريانية اليهودية التي يسميها الافرنج الكلدانية قد حفظها اليهود الى يومنا هذا بغاية الحرص والتمسك ويستعملونها في كنائسهم مثلما يستعملون اللغة العبرانية حيثما وُجدوا في العالم كلهِ . ويؤدّبون بها اولادهم مثلما يؤدّبونهم بالعبرانية . وهي تختلف قليلاً من سريانيتنا المعهودة لكنها افصح منها من وجوه . واليهود يلفظون السريانية كما يلفظها السريان الشرقيون الذين يقال لهم الكلدان لا كما يلفظها الغربيون

ذلك الجلاء في عهد كورش الملك من بعد ان قضوا في الجلاء نحو نصف قرن * وانما تُسمى هذه اللغة في بعض الكتب عبرانيّة لانها كانت لغة العبرانيين من بعد رجوعهم من الجلاء * وعندنا من الجملة في اسفار العهد الجديد نفسهِ الذي فيهِ تُسمى لغة اورشليم وسائر فلسطين في زمان المسيح عبرانيّة شواهد على ان المراد بالعبرانيّة في تلك المواضع هو اللغة السريانيّة * طالع مثلاً يوحنا ١٩ : ١٣ و ١٧ حيث تجد الفاظًا سريانيّة موردة بصحتها ومسماة عبرانيّة *

وها هنا نورد اخصَّ البراهين التي تبيّن هذه الحقيقة التاريخيّة وتثبتها غاية الاثبات وتزيل عنها كل الريب * فنقول اوّلاً ان كلّ الذين الفوا الكتب في فلسطين في ذلك العصر وما يقرب اليهِ كتبوا باللغة السريانيّة المذكورة التي لسبب كتابتها بالخطّ البابليّ المربّع ولسبب ان اليهود تعلّموها في بلاد الكلدانيين يسميها الافرنج الكلدانيّة . من ذلك اسفار طوبيا ويهوديت وابن سيراخ والترجومات الكثيرة اي ترجمات اسفار العهد القديم عند اليهود باللغة الكلدانية المذكورة وجانبٌ عظيم من كُتب التلمود واما في اللغة العبرانيّة فقلّما كتب علماء اليهود في ذلك العصر * واما في اللغة اليونانيّة فلم يُصنّف احدٌ منهم شيئًا في فلسطين حتى ان يوسف الاصغر الاورشليميّ المؤرّخ اليهوديّ المشهور نفسهُ الذي عاش في القرن الاوّل للمسيح والذي تواريخهُ محفوظة الى اليوم في اللغة اليونانية يشهد في مفتتح كتاب الحروب اليهوديّة انهُ كتب اولاً تواريخهُ في لغة جيلهِ اي في السريانيّة التي كانت في ذلك الزمان لغة اليهود كما تقدَّم القول . و بعد ذلك نقلها الى اللغة اليونانيّة لافادة الغرباء * ولا يُعترض بسفر الحكمة وسفر المقابيين الثاني اللذين من جملة اسفار العهد القديم المسمّاة القانونيّة الثانية صُنّفا في الاصل في اللغة اليونانيّة بحسب تقرير العلماء المحقّقين . فانهُ لا يُعلم متى صُنِف هاذان السفران ولا في ايّ مكان ولا من هو مصنّفهما —

لانهُ من المحتمل بل الراجح انهما صُنفا في مدينة الاسكندرية التي لا ينكر ان اليهود فيها كانوا يستعملون اللغة اليونانية وفيها ظهرت كتب اليهود بهذه اللغة [1] * ثانيًا ان اسماء اليهوديين واليهوديات المذكورة في اسفار العهد الجديد اذا نحّينا عنها الاسماء العبرانية التي كانت تُتخذ من باب التديّن او حبّ الجنس نحو يوسف ويعقوب وشاول ومتّى ومريم وحنّة فالبقية منها هي كلها سريانية نحو توما وبرنابا وبرثلمي وبَرْيشوع وباراباً وقيافا وسيلا (شايلا) وبرطيمي وبرسابا ومرتا وسالومي وشفيرة وطبيثا. وكذلك اسماء شيع اليهود الدينية كالفريسيين والصدوقيين * واي عاقل يصدّق ان اليهود مع كونهم يتكلمون باللغة اليونانية او العبرانية كانوا يتسمّون باسماء سريانية. فمن الواضح انهم انما كانوا يتسمّون باسماء سريانية لان لغتهم كانت السريانية * لا ننكر اننا نجد اسماء يونانية لاهل فلسطين الاصليين في العهد الجديد. الّا انها قليلة نحو فيلبس ونيقوديمس ونثانور واسطفانس. واقلّ منها اللاتينية نحو مرقس ولوقا * ويسوغ لنا ان نأوّل وجود هذه الاسماء الغريبة في اسفار العهد الجديد الذي معظمهُ يتعلق باخبار فلسطين والشام بقولنا ان هذه الاسماء الغريبة نقلها كتّاب العهد الجديد او مترجموهُ اليونانيون من لغة العبرانيين الى عبارة يونانية كما هي عادة القدماء ان يفعلوا: مثال ذلك أنّ يوسف المؤرّخ اليهودي المذكور الساعة لما ذكر نسبتهُ في مفتتح قصة حياتهِ سمّى ابا جدّهِ شمعون بسلس بلفظة يونانية. والواضح انهُ لم يمكن ان يكون اسم ابي جدّهِ يونانيًا لانهُ كان من اخصّ اليهود الساكنين اورشليم. فاذًا لا بدّ من أنّ الرجل كان اسمهُ بلغة اليهود اي الارامية

(١) مما يرجح هذا المذهب ان سفر المقابيين الثاني يحوي في اولهِ رسالتين أُرسلتا من يهود فلسطين الى يهود مصر. وان مولفهُ يقول في ٢: ٢٤ ان كتابهُ هو مختصر كتاب الفهُ ياسون القيراني او الكريني كما يقال في اليونانية اي المنسوب الى مدينة كريني التي كانت واقعة الى غربيّ بر مصر

ܟܐܦܐ (اي الاكن) فترجمة المؤلف بلفظة ΠΕΤΡΟΣ (بِطرُس) اليونانية المذكورة التي لها هذا المعنى* وكذلك في العهد الجديد اندراوس اسم اخي بطرس الرسول هو لفظة يونانية . ولكن مسمّاهُ كان بالتاكيد غير يوناني فكان اسمهُ عبرانيًّا او سريانيًّا . فترجمة كاتب الانجيل باليونانية . والبرهان على ذلك واضح لا ريب فيه . وهو ان اندراوس كان اخا شمعون الصفا . ونحن نعلم ان ابا شمعون الصفا لم يكن يونانيًّا لان اسمهُ كان سريانيًا وهو يونا اي حمامة . طالع متى ١٦ : ١٧ و يوحنا ٢١ : ١٥ و١٦ و١٧ * ولنا مثال آخر جليل في اسم بولس الرسول . فان هذا الاسم هو لاتيني بلا شك . واما المسمى به فكان اسمهُ أوّلًا شاول وهو اسم عبراني . والشخص كان بالتاكيد من الجنس العبراني لانهُ كان من سبط بنيامين كما يشهد هو عن نفسهِ في رسالتهِ الى اهل فيلبي ٣ : ٥ . فلمّا تنصّر سمّوهُ باسم جديد في مدينة دمشق التي فيها حدث تنصرهُ وهو بولس . ولا شك ان هذا الاسم وُضع أوّلًا بالسريانية اي ܦܘܠܘܣ او ܦܘܠܐ كما كان يُقال قديمًا . لان اهل دمشق كانوا يتكلّمون بالسريانية كما سنبين . ثم اذ كان هذا الرسول يفتخر بكونهِ موسومًا بالمدنيّة الرومانيّة تُرجم ذلك الاسم بلغة الرومانيّين وهكذا غلب عليهِ اسم بولس اللاتيني * ومثل ذلك اسم شمعون الرسول اخي اندراوس . فان المسيح سمّاهُ كيفا بلا شك (طالع يوحنا ١ : ٤٢) وهذا الاسم هو سرياني بلا شك ولا ريب . فلا بدّ من ان التلاميذ امتثالًا لأمر المسيح صاروا يسمّونهُ كيفا . وكذلك نجدهُ في قورنثية ١ : ١٢ و٣ : ٢٢ و٩ : ٥ و١٥ : ٥ وغلاطية ١ : ١٨ و٢ : ٧ و٨ و٩ و١١ و١٤ . واذ لا يُصدّق ان هذا الرسول سمّوهُ باسمين جديدين فالواجب ان نقول ان اسم بطرس الذي نجدهُ لهُ في العهد الجديد ليس هو الاسم الذي كان يسمّى بهِ هذا الرسول لكن هو ترجمة يونانية لاسم كيفا وضعها

الكتّاب اليونانيّون[1] * وعندنا مثل واضح لذلك في عادة اهل زماننا في بلادنا حيث يعبّرون عن الاسماء الغريبة بترجمتها الى العربيّة . نحو قولهم ابن العبريّ ابن الحجريّ . بدل ܒܪ ܥܒܪܝܐ . ܒܪ ܟܐܦܐ السريانيّة . وكقولهم الجسريّ . الحجريّ . منصور . سعيد . وردة . السلّمي . فم الذهب . بدل Climax. Rosa. Felix. Vincent. A Lapide. Dupont Chrysostomos اليونانيّة او اللاتينية * فاذًا وجود اسماء يونانيّة في صُحُف العهد الجديد ليس دليلاً على ان اهل فلسطين كانوا يونانيين او كانوا يتكلمون باليونانيّة *

وقد نجد في اسفار العهد الجديد اسماء لاتينيّة لاشخاص عبرانيين بلا شك . وذلك اما لانهم كانت لهم مداخلة مع ارباب الحكومة الذين كانوا يتكلمون باللاتينيّة وإمّا لانهم كانوا من اليهود المستوطنين في رومية او غيرها من ايطاليا او افريقيا . مثال ذلك يوسف برسابا الذي اسمهُ هذا (اي ابن الشيخ) يدلّ على انهُ كان من قوم يتكلمون بالسريانيّة . ومع ذلك فكان لقبهُ يُسطس (طالع قصص ١ : ٢٣) . وهذا اللقب الذي معناه العادل هو لفظة لاتينية * ونرى في قصص ١٣ : ١ شخصاً آخر وهو سمعان العبراني يُسمى باسم لاتيني نيجر اي الاسود * ومع وجود هذه الاسماء اللاتينيّة في الامّة العبرانيّة لم يستنتج احد الى الآن ان العبرانيّين في فلسطين كانوا يتكلمون باللاتينيّة . فكذلك من وجود الاسماء اليونانية فيهم لا يصح ان يُستنتج انهم كانوا يتكلمون باليونانيّة *

---

(١) الحق يضطرنا ان نقرّ انّ هذا الرسول شمعون كان الذين يتكلمون باليونانية يسمونهُ ايضاً بطرس بدل كيفا . فان بولس الرسول الذي مراراً كثيرة يسميه كيفا يدعوه ايضاً بطرس احياناً . في غلا ٢ : ٧ و ٨ مثلاً . وهو قد كتب باليونانية . ولكن على كل الاحوال يثبت ما قلناهُ وهو انّ اسم بطرس هو ترجمة كيفا السريانيّة لان الاقدمين كان لهم عادة ان يترجموا الاسماء باللغة التي يتكلمون بها *

ثالثًا ان اسمآء الاماكن المشاعة في اورشليم كانت سريانية في زمان المسيح . ويشهد لذلك شهادة قاطعة كل ربب العهد الجديد نفسهُ نحو ܫܝܠܘܚܐ شيلوحا (يوحنا ٩ : ١١) . ܓܓܘܠܬܐ جلجلة (يوحنا ١٩ : ١٧) . ܓܒܬܐ غباثة (يوحنا ١٩ : ٢) . ܓܕܣܡܢ جسمانية (متى ٢٦ : ٣٦) . ܒܝܬ ܚܣܕܐ بيت حسدا (يوحنا ٥ : ٢) . ܒܝܬ ܥܢܝܐ بيت عنيا (يوحنا ١٢ : ١) . ܒܝܬ ܦܓܐ بيت فاجي (متى ٢١ : ١) . هذه كلها اسمآء سريانية بلا شك ولا مرآء : واشهر من كلّ ذلك الاسم الذي وضعهُ رؤسآء اليهود للكورة التي اشتروها بالفضة التي ردّها يهوذا الاسخريوطي . وهو ܚܩܠ ܕܡܐ حقلدما (قصص ١ : ١٩) * وأيّ عاقل يقبل انّ اهل اورشليم الذين كانوا يسمّون اماكن مدينتهم باسمآء سريانيّة كانوا يتكلمون بلغةٍ اخرى *

رابعًا ورد في قصص الرسل (٢١ : ٤٠) ان بولس الرسول القى خطبةً باورشليم بالعبرانيّة اي بلغة العبرانيين حينئذٍ وهي السريانيّة كما ذكرنا سابقًا . وكان حاضرًا في هذه الخطبة جمّ غفير من اهل اورشليم من الخاصّة والعامّة وهم يشتكون على بولس أمام الامير . فشرع بولس يخطبهم باللغة المذكورة ليحامي عن نفسهِ ويبرّئها . وروى المؤرّخ المقدّس انهم لمّا سمعوهُ يتكلّم بتلك اللغة ازدادوا اصغآء اليهِ (وذلك لانهُ ولو ان بولس كان يهوديًا جنسًا لكن كان مولودًا في مدينة طرسوس التي كان أهلها يتكلمون باليونانيّة ولذلك فيهود اورشليم ارتاحوا بانهُ كان يحسن التكلم بلغتهم مع كونهِ قد ربا في بلدة يونانيّة) وانهم فهموا كلامهُ حسنًا حتى انهم لشدّة قوّة كلامهِ ثاروا عليهِ في الآخر غضبًا . فهل يمكن ان يكون دليل أوضح وأقطع على ان لغة اهل اورشليم في ذلك الزمان لم تكن اليونانيّة *

ولنا تأييد لهذا البرهان مما ورد في كتاب قصص الرسل المذكور ٢١ : ٣٧ وهو ان الامير سأل بولس الرسول قائلاً أتحسن اليونانية . فلو ان اللسان العامّ لليهود في اورشليم كان اليونانيّ في ذلك الزمان لكان هذا السؤال ضرباً من الحماقة مثل حماقة من يسأل اليوم مثلاً رجلاً دمشقياً أتعرف العربية * وفي جواب بولس تأكيدٌ اكثر للحقيقة . لانهُ لم يكن جوابهُ بقولهِ انا يهودي مجرَّداً . لانهُ لو اجاب كذلك لكان في هذا الجواب إثبات لزعم خصمنا اذ يكون المعنى انا يهودي والمعلوم ان لسان اليهود هو اللغة اليونانية لكن اجاب قائلاً انا يهودي طرسوسي من مدينة معروفة من قليقية . كانهُ يقول انّي ولو كنت يهودياً فانّي من مدينة انت تعلم ان اهلها يتكلمون باليونانية * ولاثبات ذلك اكثر ما يكون نورد شهادة كتاب قصص الرسل ٩ : ٢٩ نفسهِ حيث يقال ان بولس اذ كان في اورشليم بعد استنارتهِ « كان يخاطب المتكلمين باليونانية » اي اليهود الذين لغتهم كانت يونانية وقد اتوا من اسيا الصغرى او من بعض نواحي افريقية (طالع مرتيني في هذا الموضع) . ومن ذلك يتضح اتضاحاً لا مزيد عليهِ ان اللسان اليونانيّ لم يكن اللسان المتغلّب في اورشليم بل كان خصوصياً لبعض سكانها *

خامساً ان علماء اليهود حتى الذين عاشوا في زمان المسيح وما بعدهُ يذكرون في كتبهم الفرق النحويّ واللغويّ الذي كان في اللهجة باللغة السريانيّة بين الجليليّين وبين سائر اهل فلسطين ولا سيما اورشليم * والانجيل نفسهُ يشهد بوجود هذا الفرق بين لغة الجليليّين ولغة سائر الفلسطينيين في زمان المسيح . فقد ورد في بشارة مرقس ١٤ : ٧٠ انهُ في ايام آلام المسيح لما كان بطرس الرسول في دار رئيس الكهنة عرفهُ الحاضرون انهُ جليلي وذلك من كلامهِ (متى ٢٦ : ٧٣) *

سادساً ان اقوى البيّنات لاثبات ما نحن في صددهِ شهادة الانجيل المقدس حيث يورد احياناً بالحرف اليونانيّ الكلمات التي خرجت من فم

يسوع الاقدس بلفظها الاصلي عينهِ . وهي كلها سريانيَّة لا عبرانيَّة . فانهُ لما اراد يسوع ان يُسمّي شمعون الرسول بالصخرة سمَّاهُ ܟܺܐܦܳܐ كيفا (يوحنا ١ : ٤٢) ولم يقل ܐܒܢ بالعبرانية ولا ΠΕΤΡΟΣ باليونانية (ولو ان كتَّاب العهد الجديد لمَّا كتبوا باليونانيَّة عبَّروا عن اسمهِ هذا السرياني بلفظة بطرس اليونانية) . وكذلك سمى يسوع ابني زبدي باسم سرياني ܒܢܰܝ ܪܓ̈ܫܳܐ (مرقس ٣ : ١٧) . ولما أحيا الصبيَّة قال لها بالسريانية ܛܠܺܝܬܳܐ ܩܽܘܡܝ (مرقس ٥ : ٤١) . وصاح بالسريانيَّة وهو معلَّق على الصليب ܐܝܠ ܐܝܠ ܠܡܳܢܳܐ ܫܒܰܩܬܳܢܝ (متى ٢٧ : ٤٦) * ولما احيا بطرس الرسول الفتاة في يافا قال لها في السريانية ܛܠܺܝܬܳܐ ܩܽܘܡܝ (قصص ٩ : ٤٠) * ولذلك فلما اراد بولس الرسول في رسالتهِ الاولى الى اهل قورنتس التي كتبها باليونانيَّة ان ياتي بعبارة معنوية سريَّة باللغة المالوفة حينئذٍ عند العبرانيين قال (١٦ : ٢٢) بالسريانيَّة مَارَن أَتا ܡܳܪܰܢ ܐܶܬܳܐ اي ربَّنا أتى بلفظ السريان الشرقيين . ولم يقل بالعبرانيَّة أدونينو با ܐܕܘܢܝܢܘ ܒܐ *

سابعًا ان اللغة السريانيَّة بقيت دارجة في فلسطين ايضًا بعد استيلاء العرب عليها باجيال فانهُ كما سنرى عمَّا قليل لما دخل طقس البيعة القسطنطينيَّة في البيعة الفلسطينيَّة في نحو القرن الثامن او التاسع استخرجت كتب ذلك الطقس حتى اجزاء الكتاب المقدَّس الى اللغة السريانيَّة الدارجة في تلك البلاد لاستعمال تلك البيعة . لانَّ البيع الشرقية كان من عادتها ان تستعمل الطقس في كل بلدٍ باللغة الدارجة فيهِ . وهكذا صار الطقس اليوناني مستعملاً في فلسطين باللغة السريانية اجيالاً حتى بعد انقراض اللغة

السريانيّة فيها وأخذ العربيّة مكانها *

وأكثر ما سنوردهُ في الفصل الآتي عن بلاد الشام من البراهين اللغويّة لبيان ان اللغة اليونانيّة لم تكن ابداً متغلّبة فيها يقع على بلاد فلسطين ايضاً . فليُطلب ويُقس عليه

وترى اننا في كل بحثنا هذا لم نستشهد بفحول العلماء الذين قرّروا الحقيقة التي اثبتناها . لعلمنا ان آراء العلماء ليست كافية بذاتها لاثبات الحقائق التاريخيّة *

فمن الامر المؤكّد الذي لا يشوبهُ ادنى ريب ان لسان اهل فلسطين ولا سيما اورشليم في عصر المسيح كان اللغة الارامية اي السريانيّة * ولكن مع ذلك فلا ننكر ان اللسان اليونانيّ منذ تملّك خلفاء الاسكندر اليونانيّ المعروف بذي القرنين على بلاد الشام كان معروفاً في بلاد فلسطين على الصفة التي بها اللسان التركي هو معروف اليوم في اغلب مدن المملكة العثمانيّة اذ كان اللسان اليونانيّ اللغة الجنسيّة لكثير من الغرباء القاطنين في بلاد الشام وكان لغة الحكّام في عهد الدولة السلوقيّة المذكورة . ولذلك فلما اراد بيلاطس والي اليهوديّة ان يجعل لوحاً مكتوباً على صليب يسوع لم يُكتَب اللوح فقط بلغة العبرانيّين اي السريانيّة التي كانت لغة اهل اورشليم وباللغة اللاتينيّة التي كانت لغة الحكّام في زمان المسيح بل كُتب ايضاً باليونانيّة ليقرأهُ الغرباء الذين كانوا كثيرين * وامّا اهل البلد الاصليّون فلم يكن لهم اختلاط باللسان اليونانيّ . الاّ قليلين منهم كانت اشغال التجارة وما اشبه ذلك تلزمهم ان يعرفوا لغات غريبة . مثلما في عصرنا هذا الرجال بل النساء ايضاً في بلاد الشام كثيراً ما يعرفون لساناً واحداً او اكثر من الألسنة الغريبة ولا سيّما الافرنجيّة وعلى الخصوص الفرنساويّة * بل انّ اليهود في فلسطين كانوا غريبين عن اللغة اليونانيّة جداً حتى انهُ كان محروماً عليهم وخاصّة الرجال ان يتعلّموها في المدارس . وامّا النساء فكان

جائزاً ان يؤدّبن باليونانيّة من باب التزيّن الجائز للنساء. طالع بكسترف صاحب القاموس الكلداني في لفظة يون. و يشهد لذلك ايضاً يوسف المؤرّخ في الباب العشرين من تواريخ القدائم اليهودية * الم تر ان يوسف المؤرّخ هذا الذي كان من بيت شريف من بيوت اورشليم وجرت له وقائع كثيرة عظيمة مع أعيان اليونانيين والروميين[١] لم يتعلّم اللغة اليونانية الّا بتعب ونصب وكدّ شديد. ومع ذلك فلم يحسن تكلمها. كما شهد هو نفسهُ عن كل ذلك في الموضع المذكور[٢] *

ولا اشكال في الامر المشهور ولو أنّهُ يوجب غاية التأسّف والتألم اعني ان جميع الصحف التي وصلت الينا من عهد ظهور المسيح وما بعد من بلاد فلسطين هي مكتوبة كلها باليونانيّة ولا يُعرَف كتابٌ او صحيفةٌ منسوبة الى المسيحيّين الذين في ذلك الزمان وذلك البلد مكتوبة بلغة اخرى غير اليونانيّة. فانّ الاناجيل وسائر اسفار العهد الجديد وكُتُب العهد الجديد المزوّرة وسائر ما كُتب عن مبادي الدين المسيحيّ وجُمع في مصنّفات اوريجنيس واوسابيوس وغيرهما ومصنّفات اساقفة اورشليم نفسها نظير كرلّس (والسريان يقولون قورِلّس) وغيره وبالاجمال كل الآثار الكتابيّة المتعلقة ببلاد فلسطين منذ ظهر فيها دين المسيح وانتشر. هذه كلها ما وصلت الينا الّا باللغة اليونانية. سوى الشيء الزهيد الطفيف الآتي ذكرهُ. ولا حظّ لنا ان نرى

(١) المراد بالروميين في لغة العرب الفصيحة اهل رومية الذين يقال لهم في الفرنساوية Romains ومن ينتسب اليهم لا كما تستعمل العامة اليوم في بلاد الشام هذا الاسم بمعنى اليونانيين. واما تسمية اهل رومية باسم الرومانيين فليست معروفة عند العرب الفصحاء ولا اشتقاقها هو على القياس. لان القياس هو ان يقال من رومية رومي كما يقال من انطاكية انطاكي ومن اسكندرية اسكندري

(٢) من قرأ ذلك فكيف يمكنهُ ان يمسك نفسهُ عن التعجب والتحير اذ يرى انّ علماء اليهود ولا يتهم هؤلاء الذين سنوا هذا النهي على الناس عن ان يتأدبوا بأدب اللغة اليونانية يحشون اللغة العبرانية السريانية التي اخترعوها والتي يقال لها الربّينية بالفاظ لا تحصى ماخوذة من اللسان اليوناني مشوّهة اقبح التشويه

شيئاً ولو زهيداً بلغة اخرى عن تلك البلاد وتلك الاجيال غير ما اشرنا اليه * ان ذلك الصحيح وهو يوعب الفؤاد اسفاً والماً كما قلنا . وهو امرٌ جلل بل امر عجيب يحيّر العقل . ولكن مع ذلك فلا يمكنهُ ان يضعف صحة الحقيقة التي بيّناها بالبراهين العديدة الراهنة الدامغة * واما سبب هذا الامر الغريب فهو انّ النحس الذي تبع اللغة الارامية الفلسطينيّة جزئيّاً قبل النصرانية تعقبها كليّاً بعد النصرانيّة . فقد فُقد من الكتب المسطورة بتلك اللغة قبل النصرانيّة قصّة طوبيا وكتاب يشوع بن سيراخ وسفر يهوديث وتتمة استير وقصّة سوسنّة وسفر المقابيين الاوّل و باروخ وتواريخ يوسف المؤرخ المشهور الى غير ذلك مما يعسر احصاؤهُ . فلا عجب انّ الزمان الذي اباد بعض الآثار الارامية الفلسطينيّة قبل المسيح ابادها كلها بعد المسيح مع ما نعلمهُ من النوائب الغريبة التي حلّت بتلك البلاد . سوى الشيء الطفيف الذي سنذكرهُ * ومن ذلك حدث اننا لا نعلم اصلاً كيف كان حال الادب والعلم في فلسطين عند اليهود من بعد تنصرهم وكيف كان يختلف عن حالهِ عندهم قبل ان تنصّروا وعند اليهود الذين لم يتنصروا وبايّ نوع من القلم كانوا يكتبون . وفي ايّ زمان بطّلوا تماماً ان يتكلموا بلغتهم السريانيّة . وفي ايّ قرنٍ من القرون صار قلمهم شبيهاً بالقلم السطرنجيلي الذي يشاهد في كتبهم القليلة المحفوظة الى اليوم المخطوطة في القرن الحادي عشر وما بعدهُ والتي ستتكلّم عنها قريباً * كل هذه المسائل وأمثالها هي مشكلات لا يمكن حلها بالوسائل التي هي في يدنا اليوم *

امّا ما اشرنا اليهِ غير مرّةٍ من الآثار الواصلة الينا من الاساطير السريانيّة اليهوديّة المكتوبة في فلسطين في عهد النصرانيّة فهو شيءٌ زهيدٌ حقّاً وهو لم يُعرف الّا من نحو مبادئ القرن الماضي اذ كان الى ذلك اليوم مخبأ في الزوايا المهجورة . وهو عبارة عن كتاب واحد يحوي قريانات الاناجيل مفرّقة على مدار السنة حسب طقس الروم اي الكنيسة

القسطنطينية . وصُحف شتّى متفرقة مفصول بعضها عن بعض تحوي شيئاً من قريانات الاناجيل ومن قريانات العهد القديم ومن المزامير ومن القوانين العيدية ومن قصص بعض القدّيسين . كلّ ذلك لاجل استعمال الروم الملكيين . وهي كلها مؤلفة باللسان السرياني المختص باليهود الذي يقال لهُ الكلداني والفلسطيني ومخطوطة بالقلم السرياني المختص بذلك القوم وهو مأخوذ من القلم السطرنجيلي الذي هو أمّ كلّ الخطوط السريانية المعروفة والمستعملة اليوم ومنهُ تولّد الخطّ العربيّ * ومن هذه الكتب اليهودية النصرانية نستنتج اولاً انّ اللغة السريانية التي كانت دارجة في اورشليم وسائر فلسطين في زمان المسيح بقيت دارجةً فيها بعد المسيح في عهد النصرانية مدّةً اكثر من سبعة قرون (لانهُ لا يُحتمل انّ تلك الكتب الطقسية عُملت قبل القرن الثامن) اذ لولم تكن تلك اللغة دارجة لما كُتبت فيها تلك الكتب التي كانت لاجل استعمال البيعة . ثانياً نستنتج انّ تلك اللغة كان لها كتابة وادب في النصرانية (نعم ضعيف) مثلما كان لها قبل النصرانية ومثلما كان لها بعد ظهور النصرانية خارجاً عنها . ثالثاً انّ اهل فلسطين إن موسويين وإن مسيحيين لم يشاركوا سريان الجزيرة وبقية البلاد السريانية في تقلّبات اللسان السرياني . رابعاً انهُ في استعمال اللغة السريانية اليهودية كان كلّ فريقٍ من الموسويين والمسيحيين في فلسطين يسلك منهاجاً لنفسهِ بمعزلٍ عن الفريق الآخر . فانّ الخطّ مثلاً لدى المسيحيين كان مختلفاً عمّا كان لدى اليهود . في القرون المتأخرة على الاقلّ * خامساً انّ الترجمة السريانية للكتاب المقدّس التي يقال لها ܦܫܝܛܬܐ (البسيطة) لم يستعملها المسيحيون الذين في فلسطين كما كان يستعملها بقية المسيحيين السريانيين حتى الملكيين . فانّ اسفار الكتاب المقدّس في الكتب الفلسطينية التي كلامنا عنها قد استُخرجت كلها من اليوناني رأساً حتى سفر المزامير ولو انّ قوماً من العلماء يذهبون

الى انّ المترجم وضع امام عينيهِ الترجمة البسيطة المذكورة * سادساً انّ اللغة السريانيّة الفلسطينيّة كانت مستعملة في كنائس الملّة الملكيّة بفلسطين حتى بعد انقراض هذه اللغة من افواه العامّة وأخذِ السريانيّة مكانها . لانّ رُبريكات الكتب الطقسيّة المذكورة اي حواشيها هي مكتوبة بالعربيّة *

ومن بعد ذلك كلهِ نجمل الكلام ونقول إنهُ قد اتّضح من كلّ ما تقدم شرحهُ الى الآن انّ اللغة اليونانيّة لم تكن في زمان المسيح هي اللغة الدارجة في اورشليم او المتسلطة او المتغلّبة فيها . وناهيك انّ الدين المسيحيّ نشأ خارجاً من الدائرة اليونانيّة وانّ مباديّ البيعة النصرانيّة لم تكن يونانيّة اصلاً . وذلك انّ مُنشئها لم يكن يونانيّاً لا وطناً ولا جنساً ولا لغةً . ولم يكن احد من تبّاعهِ الاوّلين يونانيّاً . وكذلك لم يكن احد من رُسلهِ والمنذرين بدعوتهِ يونانيّاً . وتبّاع هولاءِ الاوّلون لم يكونوا يونانيّين بتّة (طالع قصص ٢ :١٤ و١٤و١٠ :٤٥و١١ :١) * واما اللغة الاصطلاحيّة المستعملة في البيعة المسيحيّة فلم يدخلها كلمة يونانيّة في اصل وضعها . وان وُجد اليوم في هذه اللغة ألفاظٌ يونانيّة فهي زهيدة طفيفة جدّاً وهي لم تدخل الّا حديثاً وخارجاً من فلسطين التي فيها نشأت الديانة المسيحيّة . من ذلك لفظة الانجيل والاسقف والمطران والسنودس والابرشيّة والخورفسقفوس والميرون والاوخرسطيّا *

واماّ الاساقفة الذين ولوا كراسيّ اورشليم وسائر فلسطين منذ مبادئ البيعة فلا ننكر انّ كثيرين منهم كانوا يونانيّين . ولكن لا ينتج من ذلك ان اهل فلسطين كانوا يتكلمون باليونانيّة قاطبةً * وذلك لانهُ اذا اقتصرنا الكلام على اورشليم التي هي المعتمد والتي نرى في اخبارها اساقفة يونانيّين بلا مراءٍ فقد روى اوسابيوس المؤرّخ المشهور في الفصل السادس من الباب الرابع من تواريخهِ البيعيّة انّ اساقفة اورشليم كانوا في الاوّل من الجنس العبرانيّ وانهُ قام هكذا على ذلك الكرسيّ خمسة عشر اسقفاً كلهم

عبرانيون من بعد المسيح الى عهد أدربانوس قيصر الملك الذي جلس سنة ١١٧ . فانّ هذا الملك لسبب الفتن التي كان يثيرها اليهود كان قد اخرج من اورشليم جميع العبرانيين من ايّ ملّةٍ كانوا وأمر امرًا شديدًا بان لا يدخل احدٌ منهم اليها . وهكذا من ذلك الزمان عُمرت اورشليم بالغرباء . وبدأ من ذلك الزمان ان يجلس اساقفة يونانيّون على كرسيّ اورشليم وكان اسم أوّلهم مرقس * هذا ما رواهُ اوسابيوس * واما بقيّة البلاد فلبث اهلها العبرانيون فيها بل انضمّ اليهم الذين أُخرجوا من اورشليم . ومع ذلك فنرى انّ الاساقفة اليونانيّين لم يكونوا قليلين في تلك البلاد . ونحن نبيّن هنا سبب هذا الامر الذي يظهر من اوّل لمحة غريبًا فنقول انّ ذلك اصلهُ هو في العادة الجارية الى اليوم في كنائس الروم الملكيين غير الكاثليكيين وهي ان يُقام على كراسيها ولاسيَّما الكراسيّ البطريركيّة اساقفة من الجنس اليونانيّ مع انهُ لا يوجد اليوم في كل سوريّة وفلسطين ومصر ادنى قرية او جماعة من الناس الاهليّين تتكلم باللغة اليونانية * فهذه العادة كانت دارجة منذ تلك الازمان القديمة التي نحن في صددها في البلاد الغربيّة من سوريّة وفي فلسطين وغيرها . اعني انهُ كثيرًا ما كان يقام على الكراسيّ اساقفة امّا يونانيُّون جنسًا واما خبيرون باللغة اليونانيّة * أمّا سبب ذلك فكان اولاً انّ الخبيرين بالعلوم اليونانيّة كانوا يُحسَبون اكثر لياقةً . ثانيًا انهُ لمّا تنصّر ملوك الروم بقسطنطينيّة كانت سطوة هولاء الملوك والاساقفة القسطنطينيّين المحرّك الاوّل في اقامة الاساقفة على كراسيّ بلاد الشرق * وقد بقيت هذه العادة الغريبة جارية في الطائفة الروميّة الغير الكاثليكيّة ببلاد الشام وفلسطين الى يومنا هذا كما اشرنا الساعة * فمثلما وجود اساقفة يونانيّين اليوم على كراسيّ فلسطين وسوريّة لا يُبرهَن منهُ على انّ اهل فلسطين وسوريّة يتكلمون اليوم باليونانيّة كذلك كان الامر في تلك الازمان القديمة التي نبحث عنها *

المقالة الثانية

في بيان اللغة التي كانت دارجة في بلاد الشام اي سورية حين ظهور العربية فيها

نقول: يزعم قومٌ انّ اللغة اليونانيّة كانت لغة اهل بلاد الشام (١) على وجه الاطلاق في الازمان السابقة لظهور العربيّة فيها. و يوردون لاثبات زعمهم حججًا كثيرة. منها انّ كلّ المؤلفين الذين ألّفوا الكتب في تلك البلاد وتلك الازمان ألّفوا باليونانيّة. وانّ المجامع المسيحيّة عُقِدَت فيها باليونانيّة. وانّ الكتابات الحجريّة الباقية الى اليوم هي باليونانيّة. الى غير ذلك* ونحن نقول إنّ كلّ ذلك لا ينتج منهُ الّا انّ اللغة اليونانيّة كانت شائعةً مشهورةً في البلاد الشاميّة لا أنّها كانت لغة البلاد كلّها ولا انّها كانت اللغة المتغلّبة * فانّ اللغة المتغلّبة في بلاد الشام حتى بعد استيلاء السلوقيّين اي اليونانيّين خلفاء الاسكندر عليها كانت السريانيّة التي يقال لها ايضًا الاراميّة وهي لغة بلاد الشام الاصليّة. ولنا على ذلك براهين شتّى قاطعة * فاولًا نتخذ البرهان من الامر المعلوم لدى كلّ خبير وهو أنّ العرب لمّا ملكوا بلاد سوريّة واختلطوا مع اهلها ادخلوا في لغتهم العربيّة الفاظًا كثيرة غريبة من لغة اهل سوريّة متعلّقة بالديانة النصرانيّة و بغير ذلك وعرّبوها. والحال ان هذه الالفاظ الشاميّة التي ادخلها العرب في لغتهم ليست يونانيّة لكن هي سريانيّة* وهاك اشهرها مرتّبةً على الحروف الهجائيّة وهي: آبّ بالمدّ لاسم الله عزّ وجلّ. اسطوانة. آمين. أنبا. باعوث. بحران. بَرْنَسَاء. برزخ. ترعة. تلميذ. تنّور. تفشرة (اي بول المريض). توبة. توراة. تيمن. جالوت. جَبَرُوت. جهنّم. حانوت. حَبر. دِين بمعنى الحكم. دير. رشم الطفل.

(١) اننا في رسالتنا هذه نستعمل لفظة الشام لا بمعنى مدينة دمشق خاصةً كما تستعملها العامة. لكن كما يستعملها العرب اي للبقعة الكبيرة من اسيا التي كان الروميون القدماء يسمونها سورية والتي يحدّها الفرات شرقًا والبحر المتوسط غربًا

زيّاح . زيق . ساعور . تسبح . سِبط . سعانين . سِفر . سفسير . سَلّح . سنّور . شبين . شمّاس . صحاح بمعني فصل من فصول الكتاب . صراط . صلوة . طاغوت . طوبى . طور . طُوفان . عرّاب . عروبة . عماد . غفّارة . فردوس . فسقيّة(١) . فِصح(٢) . قدّاس . قربان . قرطاس . قسّيس . قصر . قلم . قنوم . قيامة . كاهن بمعني مقرّب الذبائح . كاروز . كرّاس . كِرْح اي بيت الراهب . كنيسة . كهنوت . كورة . لاهوت . مار . مرعزّا . مزمور . مَشحة . ملكوت . منبر . ناسوت . ناطور . ناقوس . نبراس . نياحة . يمّ . يونانيّ * ذلك ما عدا اسماء الشهور الشمسيّة . تشرين . كانون . الى ايلول . واسماء كثير من العقاقير * نعلم ان عدّة من هذه الالفاظ هي خاصّة للمسيحيّين لا يعرفها العرب . الّا انها مع ذلك هي سريانيّة الاصل اتخذها نصارى بلاد الشام من السريان(٣) . ومن ذلك يتضح انّ نصارى بلاد الشام لما بدأُوا ان يتكلموا بالعربيّة اذ رأوا ان هذه اللغة لا تحوي الالفاظ الاصطلاحيّة المتعلّقة بالنصرانيّة اخذوها من اللغة التي

---

(١) هذه اللفظة السريانية اصلها لاتيني (٢) هذا الاسم هو عبرانيّ الا انهٗ في العبرانية بالسين . واما وجود الصاد فيهِ بدل السين في العربية فهو من السريانيّ

(٣) نحن نفرض في برهاننا هذا انّ العرب اتخذوا الالفاظ السريانية في بلاد الشام كما هو واضح . ولكن من احب ان يفرض فرضاً آخر وهو ان العرب اتخذوا هذه الالفاظ السريانية في بلاد العرب نفسها قبل ان استولوا على بلاد الشام فذلك لا ينقض برهاننا . لان السريان الذين في هذا الفرض اعاروا العرب الالفاظ السريانية لابد من انهم كانوا من بلاد الشام التي هي مجاورة لبلاد العرب وكانت معاطيات العرب مع اهلها كثيرة وغير منقطعة . فاذاً اهل بلاد الشام كانت لغتهم الاهلية هي السريانية . بل اننا نعلم من التواريخ ان العرب قام منهم ملوك على بلاد الشام منذ نحو عصر ظهور النصرانية وهم الذين يقال لهم ملوك غسّان * وليعتبر الخبيرون بعلم اللغة السريانية وادبها ان عدّة من الاسماء المعرّبة التي اوردناها في المتن لا توجد اليوم في اللغة السريانية المعهودة المسماة الكتابية وهي لغة الرها . ولكن كانت موجودة في سريانية بلاد الشام التي يقال لها الفلسطينية والتي هي موجودة في سريانية اليهود . ومن هذه الاسماء التوراة . جهنم . الحبر . الصراط . القرطاس . الكنيسة . القلم . ومن هذه الاسماء الصراط اتخذهُ السريان من اللغة اللاتينية . والقلم والقرطاس من اليونانية

كانوا يتكلمون بها سابقًا والتي بقيت مستعملة عندهم في الامور البيعيَّة اي من السريانيَّة . واذا انَّ الملكيّين استووا في ذلك مع سائر الطوائف النصرانيَّة لان الملكيين ايضًا يستعملون الالفاظ التي بحثنا عنها فاذًا الملكيّون ايضًا كانت لغتهم هي السريانية . وهكذا نرى الديانة النصرانية في البلاد الاسياويَّة المتكلمة بالعربيَّة مرتبطة ارتباطًا شديدًا جليلاً باللغة السريانيَّة *

واما من اللغة اليونانيَّة فلم يدخل في اللغة العربيَّة الاَّ الفاظٌ قليلة وذلك بواسطة اللغة السريانيَّة نفسها التي كانت قد دخلت فيها الالفاظ اليونانيَّة منذ زمان تملّك اليونانيّين السلوقيّين على بلاد الشام . وهي الالفاظ الموجودة في اكثر لغات العالم القديم . منها ما يتعلّق بالامتعة الجديدة وما اشبه . نحو زنّار . قسط . اوقيّة . ايقونة . استار . إسكيم . درهم . مينا . فندق : ومنها ما يتعلق بالديانة النصرانيَّة . نحو انجيل . هرطقة . اسقف . مطران . طقس . طغمة : ومنها ما يتعلق بالعلوم . وهذه لم تُعرَّب الاَّ حينما أخذ العرب في خلافة العباسيّين بالعراق يتفرَّغون للعلوم اليونانيَّة على يد علماء السريان فدخلت في اللغة العربيَّة الالفاظ الاصطلاحيَّة العلميَّة التي دخلت في كل اللغات المتمدّنة . نحو فلسفة . جغرافيا . سفسطي . دوسنطريا . باسليق . اقليم . اثير : وكل هذه الالفاظ وامثالها انما دخلت في العربيَّة لكونها موجودة في السريانيَّة . لانَّك لا تجد لفظة يونانيَّة في العربيَّة الاَّ وهي موجودة في السريانيَّة . ودخلت في العربيَّة لا كأنها يونانية لكن كأنها سريانية . لانها لم تدخل في العربيَّة من اليونانيَّة رأسًا لكن بواسطة اللغة السريانيَّة كما تقدَّم القول . فيجوز لنا ان نعدَّها مع الالفاظ التي دخلت من اللغة السريانيَّة الى العربيَّة التي سبق ذكرها[1] * وناهيك انَّ العرب يلفظون

(١) اعلم ان اللغة اليونانية فبلما اعارت اللغة السريانية شيئًا من الفاظها باجمال استعارت من اللغة السريانية الفاظًا كثيرة محفوظة فيها الى يومنا هذا . وليس هنا محل ايراد هذه الالفاظ السريانية الصائرة يونانية والبحث عنها

الكلمات اليونانيّة المعرّبة كما يلفظها السريان لا كما يلفظها اليونانيّون . فيقولون مثلاً : أفروطون . سقراطيس . اقليم . فندق . طفس . دوسنطريا . لا بلاتون . سكراتيس . كليما . بندوخيون . تكسيس . ديسنتريا . كما يقول اليونانيّون ✲ ومما يستحقّ الاعتبار انّ العرب سمّوا اليونان بالاسم السريانيّ كما سمعوهُ في سوريّة لا بالاسم اليونانيّ هلّيس ✲ والامر في الالفاظ اليونانيّة المعرّبة يشمل ايضاً الالفاظ اللاتينيّة . نحو دينار . بلاط . قلاية . طَبلة . فسقيّة ✲ والحاصل انهُ لمّا كان العرب لم يستعيروا الالفاظ الاعجميّة التي نحن في صددها الّا من لغة الاقوام الذين اختلطوا بهم وهم اهل الشام ولم تحدث استعارة هذه الالفاظ الّا في الازمان التابعة لظهور النصرانيّة كما هو واضح . يتضح من ذلك بكل التاكيد ان الاقوام الذين اختلط بهم العرب في سوريّة في الازمان التابعة لظهور النصرانيّة كانت لغتهم الشائعة المتغلّبة هي اللغة السريانيّة ✲

ثمّ إنّ من المقرّر الذي لا ينكرهُ احد انّ اللغة التي كان اهل بلاد الشام يتكلمون بها قبل ان انقرضت باللغة العربيّة لابدّ من انها تركت آثارًا في اللغة العاميّة التي أخذت مكانها . والحال انّ اللغة العاميّة في بلاد الشام ليس فيها ادنى أثر من اللغة اليونانيّة . لكن تحوي آثارًا كثيرة من اللغة السريانيّة . من ذلك اسكان المتحرك في اوّل الكلمة وفي مواضع اخرى كقولهم مثلاً كْبير . صْغير . نْروح . كْبار . بسكون اوائلها . وهذه خاصة لا توجد الّا في اللغة السريانيّة ✲ ولغة عامّة دمشق على الخصوص مشهورة باستعمالها اسكانًا خصوصيًا للسان السريانيّ لا يعرفهُ اهل بقيّة البلاد التي تتكلّم بالعربيّة . وهو انهم يسكّنون الحرف المتحرّك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة . فيقولون مثلاً عِلْتي . عَمْتَك . كسْرِه . نخِمْله . زِلْقطة . حُزْمْتك . مَقْدْسي فسْتقي . بدل علْني . عمّتك . كسْرَه . نحْمِله . زِلْقِطة . حُزمتك . مقدَسي .

فـسني . المستعملة في بقيّة البلاد المتكلمة بالعربيّة * ومن خواص عربيّة اهل دمشق دون غيرها من البلاد المتكلمة بالعربيّة خاصّة اخرى هي سريانيّة محضاً . وهي انهم كثيرًا ما يسكّنون ثاني المتحركين المتواليين في الكلمة الواحدة . فيقولون مثلاً صَرْفتني . سَمْرْتنا . قَصْبه . خَشْبه . أَمْوي . حَمْوي بدل صَرَفتني . سَمَرْتنا . قَصَبه . خَشَبه . أَمَوي . حَمَوي * ومما يؤكد هذا البرهان انّ عربيّة المصريّين مثلاً ليس فيها هذه الخلّة اعني اسكان المتحرك . وذلك لان المصريّين لم يكونوا قبلاً يتكلمون بالسريانيّة * ومن الآثار السريانية الباقية الى يومنا هذا في لسان العامّة بسوريّة قلب الميم الى نون في ضمير المخاطبين وضمير الغائبين . نحو ابوكن وبينهن . بدل ابوكم وبينهم . وهذه الخلّة هي من خواصّ اللغة السريانيّة . ومن الغريب انها لا توجد في عربيّة العامّة الاّ في بلاد الشام وفي النواحي الشماليّة من بلاد الجزيرة * وما هو اعظم من كل ذلك انه يوجد في اللغة العاميّة ببلاد الشام حتى دمشق الفاظ كثيرة سريانيّة برمّتها لا حظّ لها من العربيّة يستعملها الشاميّون في كلامهم الدارج العربيّ حتى الذين يقال لهم الملكيّون وهم لا يعرفون غالبًا ان تلك الالفاظ هي سريانيّة * فمن الافعال التي تخطر بالبال : دَقَر . سكّر (الباب) . دَلَف . قشّ . طاف بمعنى طفا . شَطَف [1] . خربط . دَبّق . فقع . زنق . شلح . شمط . فاش . شطح . شحط . فلش . شقل : ومن الاسماء . الشّرب . الطّبلة . الشرش . البَكْبر . اللّقيس . اللّقن (اللكن) . الدقن بمعنى اللحية . المبلة . المحل . القُش . اسم الامت في لسان العامّة . التُرغل . الاشكارة . الدبّور . الفاتول . الفرطب . التاقول : هذه وامثالها التي يستعملها العامّة الى اليوم في بلاد الشام وهم لا يعرفون اصلها هي بقايا من

---

(١) بمعنى غسل . وهو لا يوجد في السريانية الحديثة اليوم . لكن في السريانية القديمة التي يقال لها الكلدانية

اللغة السريانيّة التي كانت يوماً دارجةً في لسان العامّة في دمشق وسائر سورية قبل دخول العربيّة فيها * بل ان اسم سورية نفسه اتّخذهُ العرب المولّدون من السريان لا من اليونانيين لانهُ من المعلوم انّ اليونانيين منذ الاعصار المتاخرة يقولون سيريا . واما السريان فيقولون ܣܘܪܝܐ سوريا *

ثمّ انّ العرب لما ترجموا الكتاب المقدّس في الزمان القديم الى لغتهم لم يصوّروا الاسماء الاعلام فيهِ بحسب لفظ اليونانيين لكن بحسب لفظ السريان. فقالوا مثلاً يعقوب . اسحاق . يسوع . حوّا . يوحنا . عمورة كما يقول السريان. ولم يقولوا ياكوب . اساك . ايسوس . آفا . يوانيس . غمرّا . كما يقول اليونانيون * ولنا هنا ان نبرهن ونقول بان كانت ترجمة الكتاب المقدّس العربيّة قد صارت على كُتب اليونانيين كما يزعم قومٌ فها انّ اللغة السريانيّة كانت لشيوعها قد غلّبت العرب لفظ الاسماء الاعلام العبرانيّة حتى انهم لم يكترثوا بلفظ اليونانيين . وان كانت قد جرت على الكتب السريانيّة كما هو الارجح فها اذًا انّ اللغة السريانيّة كانت شائعة في سوريّة حتى انّ الذين ترجموا الكتاب المقدس الى العربيّة لم يلتفتوا الى النصّ اليونانيّ الذي هو النصّ الاصليّ الموجود اليوم للعهد الجديد*

ثمّ انّ اللغة السريانية قد ابقت آثاراً كثيرة جليلة الى اليوم في بلاد سوريّة ما عدا ما ذكرناهُ . منها اولاً اسماء القرى والمدن التي لا تُحصى ولا تُعدّ * ونحن نذكر منها هنا ما يخطر بالبال من دون تكلف . مع تفسير كلٍّ منها (١): وهي راشيا (اي الرؤوس) . كفرقوق (اي قرية الاكواز) . يمت

(١) اذا وجدتَ في تفسير هذه الاسماء الآتية قدامك معنى لا يوجد في اللغة السريانية الكتابية المعهودة اليوم فاعلم ان ذلك مأخوذ من اللغة السريانية القديمة التي يقال لها الكلدانية والتي كانت عامية في بلاد الشام يوماً . وليعلم طالب العلم السرياني انهُ في هذه اللغة السريانية الشامية القديمة كانت كل الاسماء تجمع بزيادة ياء

لَهيا بدل بيت الاهيا (اي بيت الآلهة) . كَفرْ مِشكه (اي قرية الجلود) . صيدنايا (اي الصيداوي) . حينه (اي الحضن) . حلبون (اي الخصوبة او الصفوة) . حاصبيّا (اي الجرار) . بينيما بدل بيت يتّيما[1] (اي بيت اليتيم) . مَضرَبا (اي المضرب) . مِنين (اي الأمنان) . عَربين (اي الغَرَب) . حارستا (اي الصلبة) . زَملكا بدل زبن ملكا (اي سلاح الملك) . دوما (اي السقف) صحنايا (اي الاقذار) . كفرْ سوسه (اي قرية الفرس) . داريا (اي الدور) . معرّا (اي المغارة) * وهذه الاسماء هي لأماكن اكثرها من ضواحي دمشق والبقيّة قريبة منها * ولا باس ان نذكر جملةً من الاسماء السريانيّة الباقية الى اليوم لأماكن اخرى في بلاد سوريّة ولاسيّما قرى جبال لبنان . فمن ذلك بيروت (اي السرو او الصنوبر) . قِنّسرين بدل قِنْ نشرين (اي وكر النسور) . ريشعَينا (اي راس العين) . عينطورا (اي عين الجبل) . عينطورين (اي عين الجبال) . رِيشميّا (اي راس الماء) . كفرقطرا (اي قرية العقد) . كفرطاب (اي القرية الجيّدة) . قَطّين (اي الضيّق او الرفيع) . فرْحيّا (اي الافراح) . دلبتا (اي الدلبة) . صافيتا (اي المنارة) . عمشيت (اي مكان البول) . علما (اي الجمهور) . معسريتا (اي المعشريّة) . عمّيق (اي العميق) . تنّورين (اي التنانير) . سلفايا (اي الارديا) شبطين (اي القضبان) . زحلة (اي الدبيب) . فالوغا (اي القاسم) . شنانعير (اي سنان الخيط) . زغرتا (اي الصغيرة) . درعون بدل ترعون (اى البوّيب) . وكثير من اسماء قرى لبنان مركّب من لفظة ܒܝܬ (بيت) والعامة غالبا تحذف

مشددة قبل الف الاطلاق . فكانوا يقولون مثلاً ملكيّا وكيفيّا في جمع ملكا وكيفا . وربما اسقطوا التشديد ومدّوا الفتح الذي قبلهُ كما يفعل اهل معلولة اليوم فقالوا صحنايا وسلفايا في جمع صحنا وسلفا

(١) ذلك باللغة السريانية القديمة التي يقال لها الكلدانية . واما في السريانية الحديثة فيقال يتما ولا يقال يتيما

التاء والياء من هذه اللفظة بل ربما حركة الباء ايضاً فتبقى الباء وحدها نحو بِكفيا بدل بيت كِيفَيا (اي بيت الصخور) . بزُمّار (اي بيت التزمير) . بجنّين (اي بيت حنين وهو علم او الحنّين) . بتدّين بدل بيت دين (اي بيت الحكم) . بشنّين (اي بيت الاسنان) . بقعاتا (اي بيت الصيحة) بكركي (اي بيت الأدراج) . بعبدا (اي بيت العبد) . بقُرقاشا (اي بيت الفزع) . بكاسين (اي بيت الكؤوس) . وبالاجمال نقول ان قرى جبال لبنان معظم اسمائها سريانيّة * واما الاسماء العلميّة اليونانيّة فهي قليلة جداً في سوريّة وهي مقصورة غالباً على بعض مدن الساحل او القريبة منه . اشهرها انطاكية . اسكندرونة . لاذقيّة . طرابلس . سبسطية . نابلس . بانياس . وبعضها لاتيني نحو غسطا . [1] طبريّة . قيسريّة * ومما يستحق الذكر انهُ لا يوجد اسم يونانيّ لمكان في دمشق او في جوارها * واذ كان ذلك كذلك فلو صحّ انّ اللغة اليونانيّة كانت اللغة الدارجة في سوريّة لتركت هذه اللغة آثاراً في اسماء قراها واماكنها مثلما تركت اللغة السريانيّة آثارها كما ذكرنا ومثلما اللغة العربيّة منذ تغلّبت في هذه البلاد ملأت قراها ومدنها وانهرها وجبالها من الاسماء العربيّة نحو قلعة جندل . جديدة . العاصي جبل الشيخ . قلمون . بَرَدى . قطنا . القَدَم . دير القمر . الاشرفيّة . جونه . سُوَيديّة . عرطوز . غزير . غدير . الى غير ذلك مما لا يُحصى ولا يُعدّ [2] . بل ان اللغة الكرديّة والتركيّة نفسهما لهما آثار في اسماء بلاد الشام الشرقيّة والشماليّة منذ تبوّأت جانباً منها هاتان الامّتان كما هو معلوم * واما الاسماء اليونانيّة فاذهب الى حيثما شئت من بلاد سوريّة [3] شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فلا تجد لها

---

(1) بدل أوغسطا . وهي منسوبة الى اوغسطس قيصر

(2) امن غريب الامور التاريخيّة ان اسماء القرى الثلاث التي اهلها يتكلمون بالسريانية الى اليوم وهي معلولة وعين التينة وجبّ عدين هي الفاظ عربية

(3) وقس على بلاد الشام بلاد فلسطين التي العرب يعدّها من بلاد الشام

أثرًا سوى اسماء المدن القليلة التي ذكرنا اشهرها * ثانيًا يوجد الى اليوم اقوامٌ تتكلّم باللغة السريانيّة في سوريّة وذلك على ابواب دمشق نفسها وهم اهل معلولة وما يجاورها المشهورون . بل ان هؤلاء سريانيّتهم افصح من السريانيّة العامّة الدارجة اليوم في آثور [1] والجزيرة والعراق * واما اللغة اليونانيّة فلا يوجد اليوم زاوية في كل بلاد سوريّة يتكلّم اهلها بها مع ان اللغة الكرديّة والتركيّة يوجد اقوامٌ تتكلّم بهما في البلاد الشاميّة *

ومن البراهين الساطعة التي بها يتأكّد ان لغة اهل الشام كانت السريانيّة في القرون التابعة لظهور دين المسيح امر الكتابة . وذلك انهُ من الامر المعلوم لكلّ خبيرٍ انّ العرب الشماليّين لم يكونوا سابقًا يقرأُون ولا يكتبون لغتهم حتى تعلّموا صناعة الكتابة في نحو القرن الخامس او السادس بعد المسيح وتعلّموها من السريان . ويتّضح ذلك بكل التأكيد اوّلاً من صوَر الحروف العربيّة كما هي في القلم الذي استعملوهُ اوّلاً وهو الذي يقال له الكوفيّ . اذ هي شبيهةٌ بصُوَر الحروف السريانيّة غاية الشبه * وثانيًا من ترتيب الحروف العربيّة الذي يقال فيهِ ابجد هوز الخ . اذ هو نفس ترتيب الحروف السريانيّة * وثالثًا من القوّة العدديّة التي للحروف العربيّة في حساب الجمّل . اذ هي كما يستعملها السريان من دون ادنى اختلاف * ورابعًا من اسماء اكثر الحروف . فانّ الالف والجيم والدال والزين والشين والصاد والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو هي كلها سريانيّة . ومن هذه الاسماء السريانيّة اربعة رخمتها العرب بجزم

---

(١) انّ الكتّاب في بيروت يكتبون اليوم اسم هذه الارض أشور تبعًا للعبرانيين ولم يفتكروا ان العرب يقولون اثور تبعًا للسريان لان هذه الارض اهلها من الجنس السرياني . وانهُ كثيرًا ما الشين العبرانية هي بدل الثاء العربية التي يجعلها السريان تاءً . نحو شدي وشلاش في العبرانية فهما ثدي وثلاث في العربية . وتدي وتلات في السريانية

حرف من اواخرها وهي الجيم والدال والصاد واللام بدل جيمل . ودالت . وصادي . ولامذ * وخامسًا يتبيّن ذلك من انّ كل حرفين يُلفظان من مخرج واحد لهما صورة واحدة في القلم العربيّ كما في السريانيّ . فانّ التاء والثاء لهما صورة واحدة . وكذلك الدال والذال . وكذلك الصاد والضاد . وكذلك الطآء والظآء . وكذلك العين والغين . كلّ ذلك على نسق القلم السريانيّ . ومن المعلوم ان التنقيط في القلم العربيّ لتمييز اللفظ الواحد من الآخر هو امر محدث * سادسًا يتاكد ان اصل الخطّ العربيّ هو من السريانيّ من ان كل الحروف المفصولة في العربيّة اي التي الواحد منها يُكتب مفصولاً عمّا بعده هي كذلك منصولة في الخطّ السريانيّ . فانّ الالف والدال والرآء والزاي والواو تُكتب مفصولة في كلتا اللغتين العربيّة والسريانيّة * سابعًا من الادلّة القاطعة على ان الكتابة العربيّة هي في الاصل سريانية حذف الالف اذا جاءت حرف مدّ في حشو الكلمة . وتلك قاعدة مطّردة في الكتابة السريانيّة . وكان ذلك شائعًا كثيرًا في مبادئ الكتابة العربيّة كما تشهد مصاحف القرآن القديمة اذ يُكتب فيها بلا الف : ابرهيم . اسرئيل . اسمعيل . الرحمن . الخسرون . الشكرون . الظلمون . الصالحت . المسلمت . الدهقين . المسجد . الملئكة . ثلث . ثلثون . ثمنية . الى غير ذلك مما لا يحصى . بدل ابراهيم . اسرائيل . اسماعيل . الرحمان . الخاسرون . الشاكرون . الظالمون . الصالحات . المسلمات . الدهاقين . المساجد . الملائكة . ثلاث . ثلاثون . ثمانية . كلّ ذلك تبعًا للغة السريانيّة التي فيها تُكتب هذه الكلمات وامثالها بلا الف * وهذا الوجه كثير منهُ محفوظ في الكتابة العربيّة الى اليوم . ومنهُ ما هو واجب . نحو هذا وهذي وهؤلاء وذلك واولئك ولكن والله * وكلّ هذه الالفاظ الاخيرة كاكثر السابقة توجد بنفسها في السريانيّة وتُكتب فيها بلا الف *

ثم انهُ لا شكّ انّ العرب تعلّموا الكتابة من اهل برّ الشام الذين هم اقرب

السريان اليهم . فاذاً نحكم بكل التأكيد و بدون ادنى شك ان اهل الشام كانوا يستعملون اللغة السريانية في نحو القرن الخامس او السادس الذي فيه بدأ العرب ان يكتبوا بالقلم الكوفي المتولّد منه القلم النسخي الدارج اليوم * وقبل القلم الكوفي كان قد اشتهر في اليَمن من بلاد العرب قلم آخر متخذ من القلم السرياني وذلك في الدولة المشهورة التي يقال لها الحِميرية ويُسمّي علماء الافرنج هذا القلم القلم السَبائي * ومن الواضح انه لو كانت اللغة اليونانية متغلّبة في بلاد الشام لكان العرب اتخذوا الكتابة من اليونانيين لا من السريان مثلما اتخذها منهم القبط في بلاد مصر حيث كانت اللغة اليونانية متغلّبة * وكذلك الحبشة في نحو ذلك الزمان تعلّموا الكتابة من سريان بلاد الشام لا من اليونانيين اذ ان حروف قلمهم تشبه الحروف السريانية شبهاً شديداً (١) * وكذلك الارمن كانوا يكتبون قديماً بالقلم السرياني الى ان قام فيهم إمامهم مسروب المشهور واستنبط لهم القلم الذي يستعملونه الى اليوم * والحاصل أن اليونانيين مع شهرة لغتهم وعلومهم وحذاقتهم في الصنائع العالية لم تتخذ أمة من الامم الشرقية الكتابة منهم الا القبط في برّ مصر . وذلك لان السريان لم يكونوا في بلاد مصر كما كانوا في بلاد الشام وغيرها . وليس هذا محل بيان الفضل العظيم الجليل الذي اولته الامة السريانية للعالم بصناعة الكتابة التي هي اساس كل عمران وكل تمدّن . فان الخبير يعلم ان اشرف الامم القديمة كالعبرانيين واليونانيين واللاتينيين تعلّمت الكتابة من الامة السريانية . ومن اللاتينيين تعلّمت الكتابة بقية امم اوروبا كلها

(١) الغالب ان الحبشة تعلموا الكتابة من السريان لا رأساً لكن بواسطة عرب اليمن الذين يقال لهم السابئون والحِميريون الذين جرت بينهم وبين الحبشة وقائع كثيرة في سالف الزمان لمجاورتهم بعضهم لبعض . فان قلم الحبشة شبيه بالقلم الحميري غاية الشبه حتى انه لما بدأ الافرنج في مبادئ هذا القرن ان يكتشفوا على الحجارة القديمة المكتوبة بهذا القلم الحميري الذي كان مجهولاً الى ذلك اليوم لم يمكن علماءهم ان يفكّوا قراءته الا بمقابلة القلم الحبشي

الاّ قوماً من الصقالبة * وكذلك امة الفُرس المشهورة في التواريخ القديمة وامة التتر التي يقال لها ويكور وغيرهما من الامم المجاورة اتخذوا الكتابة من السريان. وكثير من العلماء المحققين ذهبوا ان الاقلام المستعملة الى اليوم عند الامم الهندية باللغة السنسكريتية والتي عند اهل تيبت وغيرهم من الامم التي في اسيا المتوسطة اصلها من القلم السرياني. حتي انهُ يسوغ لنا ان نقول بكل الحق ان العالم المتمدّن اليوم في اوروبا كلها (الأجزاء زهيداً منها) واميركا كلها واوقيانيا كلها وجانب عظيم من اسيا وافريقيا ملزوم ان يعترف بفضل صناعة الكتابة لفرع من الجنس السامي وهو السرياني

حاشية في صناعة الكتابة — مذكور في آثار اليونانيين القديمة ان امّة اليونان تعلّمت الكتابة من شرذمة فونيّة قدمت اليها من الجهة الغربية من بلاد الشام في القرن السادس عشر قبل المسيح بقيادة رجل اسمهُ قَدْما (وهو اسم سرياني معناهُ الاوّل) * وهنا لنا ان نعتبر اوّلاً ان هذا الخبر لا يترتب منهُ ان الفونيين (والعامّة تكتب اليوم في بيروت وغيرها فينيكيين) هم الذين اخترعوا صناعة الكتابة كما استنتج قوم من المؤلفين اذ لم يعتبروا ان جلب الصناعة من مكان الى مكان وتعليمها للآخرين هو شيء. واختراعها هو شيء آخر * ثانياً ان جمهور العلماء المحققين اجمعوا اليوم في اوروبا على ان صناعة الكتابة التي تعلمها اليونانيون وسائر الامم المتمدّنة القديمة والحديثة لم يحدث اختراعها الاّ في احدى شُعب الامة السامية. واذ انهُ من المقرّر ان السريان الشرقيين الذين يقال لهم الكلدان هم الذين سبقوا في العمران والتمدّن سائر فروع الامّة السامية وفاقوا عليهم جميعاً ان لم نَقُل على سائر امم العالم القديمة وهو الارجح. فالعقل يضطرّنا ان ننسب اختراع صناعة الكتابة الى الكلدانيين الذين هم السريان الشرقيون. ثالثاً ان الذين جلبوا صناعة الكتابة الى اليونانيين وعلّموهم اياها كانوا سريانيين بلا شك ولو ان اليونانيين سموهم فونيين اذ انهم اي اليونانيين لم

يكونوا يعرفون من السريانيّين الاّ الفونيين الذين كانوا سكّان سورية البحريّة وذلك لكثرة جولانهم في البلاد واسفارهم البحريّة المشهورة والذين يصح فيهم القول انهم كانوا شاميّين اي سوريّين [1] * والدليل القاطع على ذلك اي على انّ الذين علموا اليونانيّين صناعة الكتابة كانوا سريانيين هو ان اسماء الحروف كما تعلّمها اليونانيّون من ذلك القوم هي سريانية اذ ان اغلبها مختوم بالف الاطلاق . وتلك عادة لا توجد الاّ في اللغة السريانيّة من بين جميع الشعوب الساميّة . فانّ اليونانيّين يقولون : الفا . بيتا . غما (بدل غملا) . دلتا . كپّا بالپاء الفارسيّة . لمْذا الخ . واما العبرانيون مثلاً الذين اجمع العلماء على انّ لغتهم كانت واحدة مع لغة الفونيّين فيقولون : آلف . بيث . غامل . دالث . كاف . لامذ الخ . فاليونانيّون لم يتعلموا هذه الاسماء من الفونيّين لكن من السريانيّين الذين من عادتهم ان يطلقوا اواخر الاسماء بالالف [2] . واعتبر انّ هذه الاسماء كما هي عند اليونانيّين قد أُطلقت اواخرها

---

(١) ان كون الكتابة اليونانية اصلها من السريانيين او الفونيين هو امرٌ تاريخي موكد لا يحتمل ادنى ريب وقد اجمع عليه العلماء كلهم اجمعون . وادلة ذلك ظاهرة واضحة الى الغاية . فانهُ اولاً القلم اليوناني والقلم الفوني او السرياني القديم يتشابهان في صور الحروف كل الشبه . ثانياً اسماء الحروف لدى اليونانيين هي سريانية . ثالثاً صفّ الحروف ونظامها في الابجدية اليونانية هو كما في الابجدية السريانية مع اختلاف يسير طرأ على الابجدية اليونانية في مرور الزمان لسبب اختلاف طبع اللغة اليونانية من طبع اللغات السامية التي السريانية واحدة منها . رابعاً قوّة الحروف اليونانية في حساب الجمّل هو كما في السريانية من دون ادنى اختلاف حتى ان حرفين سريانيين سقطا من الابجدية اليونانية لها صورتان سريانيتان في حساب الجمل اليوناني وهما الواو والقوف . اما ان اليونانيين يكتبون من اليسار الى اليمين مع ان السريانيين يكتبون من اليمين الى اليسار فلا اشكال فيهِ . فان اليونانيين ايضاً كانوا قديماً يكتبون من اليمين الى اليسار

(٢) السريان يلفظون اليوم اسماء الحروف الابجدية بلا الف الاطلاق اي بالجزم لانهُ عند السريان يجوز حذف الف الاطلاق من آخر الاسم وذلك يسمى الجزم عندهم

بالالف على حسب قاعدة السريانيين التي تقتضي ان تُحذَف الحركة الخفيفة التي قبل الآخر عند الحاق الف الاطلاق . فانّ اليونانيّين يقولون أَلْفا غَمْلا . دلْتا . لَمْذا . الخ بسكون الحرف الذي قبل الآخر . ولم يقولوا : آلِفا غامَلا . دالَتا . لامَذا . الخ كما كان واجبًا ان يقولوا لو تعلّموا هذه الاسماء من الفونيقيّين الذين كانوا يقولون آلِف . جامَل . دالث . لامَذ . الخ * هذا ما يخصّ اليونانيّين . واما اللاتينيّون فعندنا دلائل ليس هذا محلّ ايرادها تدلّنا على انهم لم يتعلموا الكتابة من اليونانيّين كما تظن العامّة لكن من السريانيّين او الفونيقيّين انفسهم رأسًا * واما العبرانيّون فتعلّموا الكتابة من السريان الشرقيّين مرّتين . المرّة الاولى لما رحل ابرهيم الخليل جدّهم من اور الكلدانيّين وجاء نبوًّا برّ الشام في القرن العشرين قبل المسيح . وكان قلمهم حينئذٍ يقرب القلم الذي يستعملهُ اليوم السمرة ويقال لهُ القلم السامريّ ونسبة اليهود . والمرّة الثانية في القرن السادس قبل المسيح اذ كانوا في جلاء بابل فتعلّموا القلم السريانيّ الذي كان حينئذٍ دارجًا في بابل وهو الذي يقال لهُ عند الافرنج القلم المربّع ويسمّيهِ اليهود القلم الآثوري اي الكلدانيّ وبقوا يستعملونهُ الى يومنا هذا — تمت الحاشية — .

ونعدل عن ايراد الشواهد المختلفة من كتب السريان التي يتضح منها ان اللغة السريانيّة كانت اللغة العامّة الدارجة في جبال لبنان وغيرها من بلاد الشام حتى في القرن الثالث عشر نفسهِ . والغالب ان اللغة السريانيّة لم تبطل تمامًا ان تكون مستعملة عند العامّة في جبل لبنان الّا في نحو الزمان الذي فيهِ بطلت اللغة القبطيّة ان تكون دارجةً في برّ مصر اي في نحو مبادئ القرن السادس عشر . واما في بقيّة بلاد الشام فلا يُعلم بالتاكيد في ايّ زمان زال استعمال السريانيّة كل الزوال .

فكأنّ السريانيين كانوا في الاول يلفظون اسماء الحروف الابجدية بالف الاطلاق كما هي عادتهم في جميع الاسماء ثم بعد ذلك جزموها كما يجزمون سائر الاسماء وصاروا يلفظونها مجزومة فقط

والغالب انّ ذلك بدأ بعد ظهور الاسلام في هذه البلاد بزمن قليل [1] *

وبهذه البراهين القاطعة وغيرها تسقط كل حجج الخصم التي ذكرناها. لانهُ منها يحصل اكثر ما يكون انّ اللغة اليونانيّة كانت في تلك الاعصار التي كلامنا عنها معروفةً مشرّفة في سوريّة عند العظماء والعلماء مثلما كانت مشرّفة ومعظّمة في مدينة رومية وسائر بلاد ايطاليا. ولكن لا ينتج من ذلك انّ اللغة اليونانيّة كانت اللغة الدارجة المتغلّبة في سوريّة مثلما لم تكن في ايطاليا * والمفهوم انّ كلامنا ليس هو عن المدن الكبيرة التي اهلها كانوا في الاصل يونانيّين كانطاكية [2] وسلوقية. فاننا لا ننكر انّ اهالي هذه المدن كانوا غالبًا يتكلمون باليونانيّة مثلما كان في ايطاليا مدن شتّى يتكلم اهلها باليونانيّة * امّا كتب الاعصار الاولى التابعة لظهور دين المسيح التي وصلت الينا. فلا ينكر انّ التي تخص بلاد الشام منها هي باللغة اليونانيّة وسبب ذلك ان الذين اشتهروا بالتاليف في تلك الاعصار اشتهروا خاصّةً في المدن التي كان اهلها يتكلمون باليونانيّة كانطاكية ومدن الساحل وقيسريّة. وامّا الباقون فلا عجب انهم كتبوا باليونانية مع انّ لغتهم الاهليّة كانت السريانيّة مثلما نعلم انّ الفرس من بعد ان اسلموا لم يكتبوا كتبهم اوّلاً الّا باللغة العربيّة ومع ذلك الى الآن لم يتوهّم احد من الناس انّ

---

(١) واما اللغة العربية فاستعمالها في الناحية الشرقية من برّ الشام ولاسيما حوران المجاورة لبلاد العرب هو اقدم من زمان استيلاء الاسلام عليها. وذلك اولاً لكثرة القبائل الاعرابية التي كانت في باديها. وثانيًا لانهُ منذ نواحي زمن ظهور النصرانية قامت دولة عربية على تلك الناحية يقال لملوكها بنو غسّان كانوا عمّالاً لملوك الروم. وقد ذُكر احدهم في رسالة بولس الرسول الثانية الى اهل قورنتس ١١: ٣٢. وهو الحارث بن ثعلبة الذي اضطهد بولس الرسول في دمشق. والراجح ان ارض حوران التي هي الناحية الجنوبية من بلاد الشام كان اهلها يتكلمون غالبًا بالعربية من القديم. ويظهر ذلك خاصةً من اسماء قراها. نحو جرش. خبب. ازرع. تبنة. جاسم. نجحة.

(٢) المعلوم ان مدينة انطاكية اختطها انطيوخس ملك اليونانيين خلفاء الاسكندر ذي القرنين الذين ملكوا بلاد الشام في القرن الثالث قبل المسيح. ولذلك فاهل

اللغة الدارجة في بلاد الفُرس كانت العربيَّة . ولم يبدا الفرس ان يكتبوا كتبهم باللغة الفارسيَّة الاَّ منذ اواسط القرن العاشر للميلاد * ولكن في القرون التابعة للقرن الثالث الكتب السريانية في بلاد الشام في كثيرة . كمصنَّفات فيلكسينس المنبجيّ واسحاق الانطاكيّ وغيرهما . ومن ذلك نتخذ دليلاً قاطعًا على انَّ اللغة السريانيَّة كانت شائعة عامَّة في بلاد الشام قبل القرن الثالث . لانَّ العقل السليم لا يقبل انَّ اللغة السريانيَّة دخلت في سوريَّة في القرن الثالث مكان اللغة اليونانيَّة . واَمَّا اسفار العهد الجديد فبعضها فُقد اصلهُ السريانيّ كما فُقد كُتب كثيرة من كتب القدماء . و بعضها انما كُتب في اليونانيَّة في الاصل لانَّ الكتَّاب او المكتوب لهم كانوا يونانيين اصلاً او لغةً . واما المجامع البيعيَّة فليس بمؤكَّد انها كلها عُقدت باليونانيَّة * واما الكتابات الحجريَّة فان كان كثيرٌ منها مكتوبًا باليونانيَّة . فاكثر من ذلك بكثير مكتوبٌ بالسريانيَّة * وها انَّ كثيرًا من الكتابات الحجريَّة القديمة في البلاد الشاميَّة هي باللغة اللاتينيَّة . واَيّ عاقل يستنتج من ذلك انَّ اللغة الدارجة في هذه البلاد كانت اللاتينيَّة * و يعلم الخبيرون ان الباحثين اكتشفوا ولا يزالون يكتشفون على كتابات حجريَّة قديمة سريانيَّة او فونيَّة في بلاد مصر واليونان وايطاليا وجزائرها وسواحل

هذه المدينة كانوا غالبًا يونانيين او يتكلمون باليونانية . ولكن قراها والاديرة التي حولها كان اهلها سريانيين بلا شك . وقد ظهر منهم كتَّاب بارعون في اللغة السريانية منهم اسحاق المعروف بالانطاكي . بل ان الملكيين انفسهم كانت اديرتهم سريانية بقرب انطاكية . منها دير مار ايليا . في جبل يقال لهُ الجبل الاسود في موضع يعرف برلس الختزير . وهناك كُتبت في القرن الحادي عشر انفس كتب طقس الملكيين في اللغة السريانية محفوظٌ عدَّة منها في خزانة كتب لندن الملكية المشهورة . طالع دفتر كتب هذه الخزانة تاليف العلاَّمة رَيت (Wright) وجه ١٩٨ و ٢٠١ و ٢٠٢-٣ و ٣٧٩ . وكان لليعاقبة بقرب انطاكية اديرة مشهورة سريانية . منها دير مار زكَّى واشهرها بكثير دير تلعدا المعروف بالكبير الذي ترهب فيهِ سمعان العمودي الفاضل في اول امره

فرنسا وغيرها من بلاد اوروبا . واي عاقل يستنتج من ذلك ان اللغة السريانية او الفونية كانت متغلبة في تلك البلاد *

ولكن لعلَّ معترضاً يعترض قائلاً ان العهد الجديد في مواضع كثيرة يقابل اليهود ببقية الامم ويسمّي هذه الامم يونانيين . كذا في روم ١ : ١٦ و١٠ : ١٢ واقور ١ : ٢٢ وغلاطية ٣ : ٢٨ وغير ذلك فينتج من ذلك ان اهل سورية الذين لم يكونوا يهوداً كانوا يونانيين لغةً — فنجيب لو صحَّ هذا البرهان لوجب ان نقول ان اهل ايطاليا كانوا يونانيين لغةً وكذلك سائر الامم الغير اليهودية من عرب وفرس وارمن وسريان والباقين الذين في العالم كلّهِ . والصحيح هو ان بولس الرسول (لانهُ ليس في العهد الجديد من سمّى الامم بمقابلة اليهود يونانيين الاَّ بولس الرسول) لما اراد ان يشمل باسم امّة من الامم كلَّ الشعوب الذين لم يكونوا من الجنس اليهودي اختار لهم اسم اليونانيّين لانهُ كان يكتب باليونانيّة ولان امّة اليونانيّين كانت اوّل امم العالم كلّهِ في ذلك العصر من وجوهٍ شتّى ولاسيما فنون الحكمة والعلم والصناعة والادب . ويمكن ان بولس لو كتب في لغةٍ اخرى غير اليهوديّة واليونانيّة لسمّى الامم غير اليهود باسم الامّة صاحبة تلك اللغة . مثلما نرى ان نصّ العهد الجديد السريانيّ في المواضع التي الكلام عنها من رسائل بولس الرسول يحوي لفظة ܐܪ̈ܡܝܐ اي السريان بدل لفظة اليونانيّين . فكما انهُ في نصّ رسائل بولس اليونانيّ يقال يهود ويونان كذلك في النصّ السريانيّ يقال يهود وسريان . وكما انهُ لا يصحّ ان يُقال عن الامم غير اليهود بوجه الاجمال انهم كانوا سريانيّين كذلك لا يصحّ ان يقال انهم كانوا يونانيّين * ولا حاجة الى التنبيه ان بولس الرسول انّما كتب رسائلهُ باليونانيّة لان الذين كتب لهم وهم القورنثيّون والغلاطيّون والتسلونيقيّون والباقون كانوا يونانيّين جنساً ولغةً . والغالب انهُ كتب رسالتهُ الى اهل رومية باليونانية لا

باللاتينية لانهُ لم يكن معتادًا ان يكتب بهذه اللغة وكان اهل رومية يحسنون غالبًا فهم اليونانيَّة لتأدّبهم فيها * والراجح ان رسالتهُ الى العبرانيين كُتبت أوَّلاً في العبرانيَّة المعهودة في ذلك العصر وهي الارامية اي السريانيَّة . غير انَّ هذا النصَّ الاصليَّ السريانيَّ قد فُقد وحُفظ في ترجمتهِ اليونانيَّة * وان كانت هذه الرسالة قد كُتبت في الاصل باليونانيَّة فلا عجب في ذلك اذ يكون بولس قد كتبها بلغة مولدهِ المألوفة وكان العبرانيُّون اي اليهود الساكنون في البلاد الغربية يعرفون هذه اللغة وكان كثير من هؤلاء في اورشليم نفسها كما يشهد سفر قصص الرسل في ٦ : ١ و ٩ : ٢٩ حيث نجد انَّهم كانوا يُسمَّون ELLHNIΣTAI لتمييزهم من اليونانيين اصلاً الذين كانوا يُسمَّون ELLHNEΣ (طالع قصص ١٨ : ٤ وروم ١ : ١٤ الخ) *

ونختم بحثنا هذا باعتبار واحد جليل القدر يغني عن كل حجَّة . وهو ان المصنفين والكتاب في اللغة السريانية في سوريَّة من القرن السادس فصاعدًا هم كثيرو العدد حتى انهُ يعسر احصاؤُهم . وهاك اسماء طرف يسير منهم . بولا اسقف قلّينقس . وشمعون القوقيّ . ويوحنَّا ابن افتون القنسرينيّ . وزكريَّا الملطيّ . ويوحنا اسقف افسس . وتوما الحرقلي . وثاوفيل الذي مذكور عنهُ في كتاب التواريخ العربيّ لابن العبري انهُ كان مارونيًّا واشتهر في مدينة الرها . ويوحنَّا اسقف بُصرى في حوران . وغيرهم كثيرًا . هؤلاء من الذين اشتهروا الى حين ظهور الاسلام فقط * واما الذين ألَّفوا في اليونانيَّة في تلك الاعصار ببلاد سوريَّة فاذا عدلنا عن الذين اشتهروا في اورشليم التي كما ذكرنا سابقًا اضحت مدينة يونانيَّة منذ مبادئ القرن الثاني بعد المسيح . وفي دير جبل سينا الذي كان ديرًا يونانيًّا في كل زمان . كسفرونيوس ويوحنَّا السلّمي . ويوحنَّا الدمشقي . وثاودورس ابي قرَّة . وانسطاسيوس السيناوي . ويوحنا منخوس . وبعض بطاركة انطاكية التي كانت مدينة يونانيَّة واشهرهم ساويرا المنوفسيتيّ . فلا نعلم انهُ عُرف غير هؤلاء من

المصنفين باليونانية في بلاد سورية من القرن السادس الى يومنا هذا . وان كنا قد نسينا واحداً او اثنين فالعفو من القارئ الكريم * ولذلك فلا غرو انك تجد في بلاد سورية أحمالاً كثيرة من الكتب السريانية في البيع والاديرة وخزائن البيوت ولا تجد فيها من الكتب اليونانية الاّ ما لا يكاد يكون تحلّة القسم *

المقالة الثالثة

في طقس البيعة الانطاكية القديم والجديد ولغته وغير ذلك مما يتعلق بالطقوس

مما شرحناه وبيّناه الى الآن يتضح ان البيعة المسيحية في سورية حتى الملكية اي التي يقال لها الرومية كانت في القديم سريانية . وانها لم تكن يونانية الاّ في اماكن قليلة . والدليل القاطع على ذلك هو الكتب الطقسية التي كان الملكيون يستعملونها في كنائسهم بسورية والتي بقي منها شيء كثير الى اليوم . فان هذه الكتب قليل منها مكتوب باليونانية . ومعظمها مكتوب بالسريانية حتى الكتب المسطرة بعد انتشار اللغة العربية في هذه البلاد كما يظهر من تواريخ كتابتها ومن وجودها مخلوطاً معها اشياء مكتوبة بالعربية ولاسيما الرُّبريكات اي الشروح التي يهتدي بها القارئ (1) *لا ننكر

(1) قد رأينا سابقاً ان عدة من الكتب السريانية الحاوية طقس الملكيين مكتوبة في الاديرة المجاورة لانطاكية . ومنها ما كتب في دمشق او في الاديرة المجاورة لها * ونحن نحوي عندنا خمسة كتب من كتب الملكيين الطقسية السريانية جمعناها من بلاد الشام الاّ ولحدنا منها . الاوّل الزبور وهو كلهُ سرياني ليس فيهِ لفظة واحدة عربية . والثاني كتاب الساعات اي الاورلوجيون وفيهِ شيء من الربريكات بالعربية . والثالث كتاب القداس واكثرهُ في العربية . والرابع جزء من كتاب الميناون وربريكاته تارة سريانية وتارة عربية وهو من انفس كتب الملكيين السريانية . والخامس جزء من كتاب البنطقسطاريون . واكثر ربريكاتهِ عربية وهو قديم جداً قد نهرّى لقدمهِ * ولا يخفى ان كتب الملكيين الطقسية السريانية الكثيرة موجودة اليوم في خزائن مدن اوروبا الشهيرة ولاسيما رومية ولندن وباريس . لانهُ اذ قد بطل استعمال هذه الكتب في كنائس الملكيين منذ نحو قرن او اكثر سهل على اصحابها ان يبيعوها من الافرنج *

ان الكتب الطقسية الملكيّة التي كان اهل سوريّة يستعملونها نصّها الاصلي هو يوناني (الأسفار الكتاب المقدس ولاسيما سفر المزامير فان الملكيّين لم يترجموها ترجمةً جديدةً من اليوناني. بل استعملوا لها الترجمة السريانيّة القديمة التي يقال لها البسيطة والتي هي مشهورة ومستعملة عند بقيّة الطوائف السريانيّة اي النساطرة والموارنة واليعاقبة الى اليوم) الآن كثرة نسخ الكتب الطقسيّة للملكيّين الموجودة الى اليوم في اللغة السريانيّة والتي علامات استعمالها الدائم في الكنائس هي ظاهرة فيها توكّد لنا بغاية التاكيد ان الملكيّين في سوريّة كانوا يقضون طقوسهم الدينيّة باللغة السريانيّة حتى بعد انتشار العربيّة باجيال كثيرة اي حتى اواخر القرن السابع عشر[1] * ومما يؤيد البرهان المتّخذ من الكتب الطقسيّة السريانيّة للملكيّين ان قلمهم السرياني الذي يُرى في هذه النسخ هو خصوصيٌّ لم يختلف من الاقلام المستعملة عند اليعاقبة والموارنة وعند النساطرة. فان هذه الطوائف الثلاث ولو كان لكلّها لغة واحدة لاتختلف بين بعضها بعض الأ في اللفظ فللنساطرة منها قلم سرياني خصوصيٌّ. وطائفتا اليعاقبة والموارنة لها قلم آخر مشترك. وكذلك كان لطائفة الملكيّين في سوريّة قلم سريانيٌّ خصوصيٌّ لها مثلما كان للملكيّين في فلسطين قلم غير هذا خصوصي لهم * بل انهُ بقليل من الفحص والمقابلة يظهر جليًّا ان الكتب الطقسيّة العربيّة التي في ايدي الملكيّين اليوم ليست مترجمة من اليونانيّة راسًا لكن من السريانيّة[2] * ونحن نسال الذين يزعمون

---

(١) اخبرنا قسوس الملة الرومية الغير المتحدة مع بيعة رومية في دمشق انهُ يوجد الى اليوم بين الاحياء قسيس من ملتهم في قرية معلولة يقدّس القدّاس في السريانية

(٢) قد جرّبنا شيئًا من ذلك في كتاب القدّاس فتاكد لدينا الامر اي ان كتب الملكيين العربية هي مترجمة من السريانية. الأ اننا رأينا ان النسخة العربية من القدّاس المطبوعة في رومية وفي ويّنا قد رُوجعت على الاصل اليوناني وأُصلحت عليهِ. ولكن في الصحف الثلاث او الاربع التي قابلناها راينا انها لا تخلو من السهو. مثلاً وجه ٢٠٥

ان الملكيين في سورية كلها كانوا يستعملون اللغة اليونانية في الطقس ان يظهروا لنا كتبًا يونانية محضًا مكتوبة في سورية · واما نحن فيمكننا ان نقدم لهم مئات من الكتب المختصة بطقس الملكيين مكتوبة بالسريانية في بلاد شتى من سورية اكثرها مخزون اليوم في خزائن الكتب بالمدن المشهورة في اوروبا * ثم ان اللغة السريانية المسطورة بها كتب الملكيين الشاميين هي نفس اللغة المستعملة عند الموارنة واليعاقبة والنساطرة في طقوسهم بكل فصاحتها · وليست كسريانية كتب الملكيين الفلسطينيين التي سبق الكلام عليها *

ومما يستحق الاعتبار ان اللغة اليونانية لم توجد مستعملة ابدًا في الطقس عند شيعة من بقية الشيع النصرانية التي في بلاد الشام · اي لا عند اليعاقبة الذين يُقال لهم السريان على سبيل الغلبة ولا عند النساطرة المعروفين بالكلدان ولا عند الموارنة اي المنتسبين الى دير القديس مارمارون · سوى الالفاظ القليلة الطقسية التي اتُّخذت من اللغة اليونانية في جميع الطقوس · نحو كيريأليسون وكلمتين أُخريين فقط كما سيأتي في الشرح * ومن الواضح الاكيد الذي لا ريب فيه انهُ لو صحّ الراي الذي نفنّده لوجب

من طبعة وينا سطر ٢ يقتضي ان يقال منهُ بدل من هذا · و وجه ٢٠٦ اول كلمة يجب ان تكون آلامك بدل آلامهُ وكذلك صلبك الخ · و وجه ٢٠٧ سطر ٣ بدل جسدهُ يجب ان يقال جسد مسيحك · ويويّد ذلك كلهُ بشهادة الترجمة السريانية · ومما يوكد ان الكتب الطقسية التي عند الملكيين بسورية هي مأخوذة عن الترجمة السريانية ما يوجد في طقس بركة الزيجة في احد الكتب التي عندنا وهو ان الآية المأخوذة من المزامير لترتَّل قبل الرسالة والتي يقال لها بروكمنون تسمى هناك بلفظة سريانية · زومارًا ܙܘܡܪܐ مع ان الطقس المذكور هو كلهُ عربيٌّ وليس فيهِ لفظة سريانية · وكذلك الآية المزمورية التي قبل الانجيل وتعرَف بلفظة الليلويا تسمى هناك بلفظة سريانية هولالا ܗܘܠܠܐ

ان يكون كل او اغلب المسيحيين في البلاد الشامية كانوا يستعملون اللغة اليونانية . والحال أننا نرى انه لا واحدة من الطوائف المسيحية المذكورة في سورية استعملت في طقسها ابدًا اللغة اليونانية. فاذًا لم تكن اللغة اليونانية هي اللغة العامية للنصارى في سورية. لانه من المعلوم ان المسيحيين القدماء كانوا في الطقس يستعملون في كل مكان اللغة العامة الغالبة فيه . ومن المفهوم ان كلامنا هو عن الموارنة واليعاقبة والنساطرة الذين بالنسبة اليهم كان الملكيون لا يكادرون يعادلون نصفهم عددًا . وقد اتضح للقارئ أننا في بحثنا هذا كله نعدل عن التمييز بين المتحدين مع البيعة الرومانية وبين غير المتحدين وعن صحة او فساد الاسباب العقيدية والسياسية التي حملت الطوائف الشرقية في البطريركية الانطاكية ان تنفصل من الملة الملكية ومن بعضها بعض او (كما يقول ايمة هذه الطوائف) التي حملت الطائفة الملكية ان تنفصل من الطوائف الشرقية . لان ذلك كله خارج عن بحثنا * فنجمل الكلام ونقول انه لما كان اكثر من ثلثي اهل سورية المسيحيين كانوا يستعملون بالتأكيد اللغة السريانية في طقسهم (اي اليعاقبة والموارنة والنساطرة) فاذًا بالتأكيد أكثر من ثلثي اهل سورية لم يكونوا يتكلمون باليونانية * ولا يجوز الظن ان اليعاقبة مثلاً تركوا اللغة اليونانية واستبدلوا بها السريانية . لانهم لو فعلوا ذلك لما ابقوا اثرًا في طقسهم من الاشياء اليونانية والحال ان طقسهم يحوي الى اليوم الفاظًا يونانية محضة ولو قليلة كما تقدم القول * ثانيًا ان اليعاقبة في سورية هم مشهورون بحبهم للغة اليونانية كما هو شأن محبي العلوم في كل مكان . وقد ادخلوا من هذه اللغة الفاظًا كثيرة في لغتهم الكتابية كما فعل اللاتينيون أنفسهم . واستخرجوا اشرف الكتب اليونانية القديمة الى اللغة السريانية حتى ان غير قليل من هذه الكتب قد فُقد في اصله اليوناني رأسًا وبقي محفوظًا الى اليوم في اللغة السريانية * ومما اشتهر به اليعاقبة دون سائر الطوائف السريانية انهم لشدة حبهم لليونانيات استخرجوا

الكتاب المقدس كلهُ من اللغة اليونانيَّة الى السريانيَّة ترجمةً جديدةً . وصاروا يستعملون العهد الجديد وشيئاً من العهد القديم من هذه الترجمة الجديدة في كنائسهم مع وجود الترجمة السريانيَّة المشهورة بقدمها وجلالتها عندهم كما توجد عند سائر الطوائف السريانيَّة (١) . وذلك لم يفعلهُ الملكيُّون انفسهم مع كونهم تابعين البيعة اليونانيَّة . فانَّهم حينما ترجموا الكتب الطقسيَّة اليونانيَّة الى السريانيَّة لم يترجموا الكتاب المقدس الذي هو جزءٌ من هذه الكتب بل اكتفوا بالترجمة السريانيَّة القديمة العامَّة كما تقدَّم القول * واذ كان ذلك

(١) مثلما الملكيون في سورية مع كونهم سريانيين جنساً ولغةً كان فيهم كثيرون يونانيون . كذلك اليعاقبة لما انفصلوا من الملكيين لم تخلُ جماعتهم من اليونانيين . يشهد لذلك كتاب سرياني قديم موجود في خزانة كتب لندن المشهورة مخطوط في القرن السابع (طالع فهرست هذه الخزانة وجه ٧٠١ وما بعدهُ) يحوي رسائل شتى مذهبية ومن جملتها رسالة كتبت في نحو سنة ٥٧٠ للميلاد في شرح الايمان بحسب مذهب اليعاقبة امضاها مئة واربعة وعشرون رئيس دير في سورية الجنوبية . وهولاء المئة والاربعة والعشرون رئيساً مذكورة اسماؤهم في الكتاب المذكور واحداً واحداً . فمنهم ثمانية عشر رئيساً كتبوا اسماءهم باليونانية . ومن ذلك يتضح ان اليعاقبة لم يكن مذهبهم ان ينفوا اليونانية من ملتهم * وعندنا في هذه الرسالة شهادة جليلة على كثرة الاديرة السريانية التي كانت في دمشق ونواحيها . ومن جملتها داريا . كفرسوسه . حلبون . كفرحور . خينه . راشيا . ينيمه . وفي اغلب هذه البلاد كان اكثر من دير . ومما يستحق الذكر من هذه الاديرة السريانية اديرة تل الاكراد وهو التل الذي الى اليوم يسمى بهذا الاسم من ضواحي مدينة دمشق . ومن ذلك يتضح ان الاكراد كانوا في دمشق قبل القرن السابع . ليت شعري ماذا جرى بهذه الاديرة العديدة التي كانت في بلاد الشام * واعتبر من ذلك كلهِ كم كانت ملة السريان اليعاقبة منتشرة منذ القديم في سورية الجنوبية الغربية * ولم تخلُ الملة اليعقوبية في سورية من كتَّاب بارعين في اليونانية . اشهرهم سويرس او ساويرا البطريرك الانطاكي الذي حين جلوسهِ كان ارثذكسياً ثم عصى على المجمع الخلقيدوني فطردتهُ الكنيسة الكاثليكية فاضحى إمام المونوفسيتيين اي اهل معتقد الطبيعة الواحدة . ولم يقم بعد سويرس بطريرك يوناني على انطاكية عند اليعاقبة . فان اليعاقبة اذ اعتقوا بشقاقهم من سطوة اهل قسطنطينية اليونانيين لم يبقَ من يلزمهم ان يقيموا لهم رؤساء يونانيين كما كان الامر قبل ذلك .

كذلك . فاي عاقل يقبل ان اليعاقبة الذين هذه احوالهم كانوا قبلاً في الطقس البيعي يستعملون اللغة اليونانية ثم تركوها واتخذوا بدلها اللغة السريانية * وان اعترض المعترض بقوله كما سمعنا ان اليعاقبة مثلاً كانوا قليلين في بلاد الشام وانهم اتوا من بلاد بين النهرين واثور التي اهلها كانوا سريانيين * فنجيبهُ اولاً انّنا يسوغ لنا ان نقول ان اليعاقبة لم يكونوا اقلّ من الملكيين بكثير في بلاد الشام . ومن اراد الوقوف على شواهد ذلك فليطالع المكتبة الشرقيّة للسمعاني فيرى كيف ان الكراسي الاسقفية لليعاقبة كانت كثيرة شاملة كل مدن الشام حتى جزيرة قبرس وكيف جرت في سورية اكثر الحوادث المتعلّقة بالشيعة اليعقوبيّة . وقد رأينا في الحاشية الماضية انهُ في نحو اواخر القرن السادس اي بعد الزمان الذي فيه حدث الانفصال بين شيعة اليعاقبة وبين البيعة الملكيّة بنحو مئة سنة كان لليعاقبة في الناحية الغربيّة الجنوبيّة من سوريّة فقط اي في دمشق وما يجاورها اكثر من مئة واربعة وعشرين ديراً للرهبان * ثانياً ليس بصحيح ان اليعاقبة اتوا الى برّ الشام من بلاد الجزيرة وما يجاورها فان الامر هو بالعكس . لانهُ من المعلوم ان شيعة اليعاقبة نبعت في انطاكية وما يجاورها ومن هناك انتشرت الى البلاد الشرقيّة . وان اكثر المجادلات والمناقشات بين اليعاقبة واخصامهم انّما شبّت نارها في بلاد الشام * ومن شكّ بعد في ذلك فليتكلّف ويعدّ جميع الكتب المخطوطة في بلاد الشام الموجودة في بلاد الشرق وفي خزائن مدن اوروبا الشهيرة كروميّة ولندن وباريس وغيرها . ويفرز التي تخصّ الملكيين منها من التي تخص اليعاقبة . فيرى كم تفوق كتب اليعاقبة عدداً على كتب الملكيين * ومن بعد كل ذلك يحقّ لنا ان نستنتج بغاية التأكيد ان يعاقبة سوريّة انّما لم يستعملوا في الطقس اللغة اليونانية لان هذه اللغة لم تكن اللغة الدارجة في بلاد سوريّة . وما قلناهُ عن اليعاقبة يقع من وجهٍ على الموارنة وسائر الشيع النصرانيّة في بلاد الشام * امّا الموارنة وهم نصارى الجهات الغربيّة القصوى من سوريّة

فمع انهم في القرن الخامس والسادس ومبادئ السابع لم يكن بعد قد حدث الانفصال بينهم و بين الشيعة الملكيّة لا يوجد شيء من اليوناني في طقسهم الاّ لفظة واحدة طقسيّة ولا ارادوا قطّ ان يتشبّهوا باليعاقبة الذين ترجموا وادخلوا في طقسهم القوانين الطقسيّة اليونانيّة التي هي من تأليف مار يوحنّا الدمشقيّ وغيره والتي يستعملها الملكيّون (١) مع ان طقس الموارنة وطقس اليعاقبة هما طقس واحد لا يختلفان الاّ اختلافاً لا احتفال بهِ كما تقدّم القول *

ومن ذلك نستنتج بكل اليقين والامان اولاً انّ البيعة الانطاكيّة لم تكن في الطقس يونانيّة بصورة رسميّة. لان اليعاقبة كانوا قبل القرن الخامس او السادس هم والملكيّون طائفة واحدة. والموارنة دائماً حتى حدث الانفصال بينهم و بين الملكيين في القرن السابع. ومع ذلك فهاتان الامّتان اي امّة اليعاقبة وامّة الموارنة استعملتا دائماً السريانيّة في الطقس. اللهمّ الاّ في الاماكن القليلة التي كانت اللغة اليونانيّة متغلّبة فيها مثل كنائس انطاكيّة و بعض الاديرة. وفي هذه الاماكن القليلة نقرّ ان اللغة الطقسيّة لم تكن السريانيّة لكن اليونانيّة. وقد صنّف لكنائس هذه الاماكن اليونانيّة سويرس البطريرك الانطاكيّ الذي كان يونانيًّا الترنيمات البيعيّة المشهورة عند اليعاقبة لتُرنّم في مدار السنة. وهذه الترنيمات اليونانيّة قد استخرجها اليعاقبة الى اللغة السريانيّة وسمّوها المعانيث وحفظوها عندهم بهذه اللغة* والغالب ان هذه الاماكن اليونانيّة التي كلامنا عنها لم تدم زماناً على حال اليعقوبيّة بل هجرت هذه الشيعة وانحازت الى بيعة الملكيين فاننا لا نجد لها اثرًا في القرون التابعة الاّ انها لم تحفظ الترنيمات السويريّة المذكورة*

---

(١) مثلاً طقس السريان يحوي اشياء مستخرجة من اليونانيّ كذلك طقس اليونان يحوي اشياء مترجمة من السريانيّ. من ذلك صلوات لمار افرام السرياني الذي لا يحسبهُ يونانيًّا الاّ من قد اتصل الى اقصى غاية من الجهل *

نستنتج ثانياً مما تقدّم بيانهُ ان البيعة الانطاكيّة الارثوذكسيّة (والمعلوم ان انطاكيّة كانت في السياسة البيعيّة امّ كلّ بلاد سوريّة والبلاد التي تجاورها الى بلاد الهند) كان طقسها في القرن الرابع والقرون التي بعدهُ الى السابع والثامن مختلفاً من الطقس الذي عند الملكيين اليوم . لانهُ لولا ذلك لوُجد هذا الطقس عند النساطرة الذين انفصلوا من البيعة الانطاكيّة في مبادئ القرن الخامس . وعند اليعاقبة الذين انفصلوا في مبادئ القرن السادس . وعند الموارنة الذين جرى الانفصال بينهم وبين الملكيين في القرن السابع . والحال انّ هذه الامم الثلاث تختلف طقوسها كثيراً من طقس الملكيين المعروف اليوم . فاذاً لم يكن هذا الطقس موجوداً في البيعة الانطاكيّة في تلك القرون * ووجه استنتاج ذلك هو اوّلاً ان كلّ خبير يعلم ان الطوائف الشرقيّة لم ينفصل بعضها من بعض لاسباب طقسيّة لكن لاسباب عقيديّة . وان كل واحدة منها حين انفصلت بقيت متمسكة بعوائدها البيعيّة والطقسيّة التي كانت عليها في زمان انفصالها . ولم تُدخِل تغييراً فيها وفي سائر ما يتعلّق بالديانة الّا ما لا يُحتفل بهِ وما يتعلّق بالباب الاعتقادي الذي بسببهِ انفصلت سوى ما اقتضاهُ الطقس من الضبط والتكميل في كل مكان بمرور الايام . لان الطقس لم يكن جارياً على نسق واحد ووجوه معيّنة في كل مكان في القرون الاولى حتى في البلاد المجاور بعضها لبعض والخاضعة لسياسة واحدة الّا في اصولهِ وفروعهِ الكبيرة * ولو كان الطقس الموجود اليوم عند الملكيين موجوداً عند النساطرة مثلاً حين انفصالهم (وقس على ذلك اليعاقبة والموارنة) لما كانوا يحسبونهُ طقس الملكيين بالمعنى الذي نقولهُ اليوم . بل لكانوا يتخذونهُ طقسهم فما كانوا يرضون ان يبدلوهُ ولا ان يغيّروهُ مثلما لم يبدّلوا او يغيّروا شيئاً من بقيّة امور الديانة سوى الشيء الطفيف الذي اشرنا اليهِ * الم ترَ ان الارمن المتحدين مع رومية لما انفصلوا من بطريركهم ومن البيعة الكاثليكيّة في قسطنطينية في للسنين

القريبة منّا بقوا على طقسهم ولغتهِ ولم يغيّروا عوائدهم الطقسيّة ولا خطر ذلك ببالهم قط. وكذلك جرى الحال مع الكلدان بالموصل لمّا انفصلوا منذ نحو خمس عشرة سنة من البيعة الكاثليكيّة وانشأوا شيعةً على حدة. ونرى كلاًّ من هاتين الطائفتين المنشقّتين متمسّكة بالطقس الذي كان لها حين خروجها من حضن البيعة الكاثليكيّة وبلغتهِ بكل حرص وصبابة لا اقلّ من الطائفة الكاثليكيّة التي هي انفصلت منها لا بل اكثر منها * وكذلك لما انفصلت الطوائف الشرقيّة في القرن السابع عشر وما بعدهُ من الشيع الغير الكاثليكيّة وانضمّت الى البيعة الرومانيّة لم تفكر واحدة منهنّ ان تترك طقس الشيعة التي هي خرجت منها وتصوغ لنفسها طقساً جديداً * والحاصل انهُ مما يمتنع منهُ الامم في كل زمان ان يغيّروا عوائدهم الطقسيّة وما يشبهها اذا اختلفوا بعضهم من بعض في امورٍ أُخرى *

وزد على ذلك انّ الطوائف الثلاث التي كلامنا عنها اي الموارنة واليعاقبة والنساطرة يتّفق بعضها مع بعض في الامور الطقسيّة اتفاقاً عجيباً مع كونها يحرم بعضها بعضاً في الامور المذهبية (١) * فان هذه الطوائف كلها مثلاً تدوف بالملح والزيت خبز القدّاس (٢) - والرسالة عندها يقرأها

---

(١) الاختلاف الطقسي الموجود اليوم بين بيعة الموارنة وبين اليعقوبيين الاخرين السريانيين انما هو حاصل من ان الموارنة في القرون المتاخرة تبعوا البيعة الرومانية في بعض الامور الطقسية * ولا حاجة ان ننبّه على وجه العموم ان الطوائف الشرقية اليعقوبية والنسطورية حتى الملكية من بعد اتحادها مع البيعة الرومانية قد اتخذت شيئاً. بعضها كثيراً وبعضها قليلاً. من طقسيات هذه البيعة * وما منقولهُ عمّا قيل عن اتفاق اليعاقبة مع الملكيين في كثير من الامور الطقسية يصدق أكثرهُ حتى اليوم في الموارنة ايضاً. لان لهاتين الطائفتين طقساً واحداً على الاطلاق في الاصل.

(٢) انّ استعمال الملح في خبز القدّاس قديم عموميّ للكنائس الشرقية. فانّ اليونانيين ايضاً يوجد عندهم. وقد طالما جادلوا قديماً اللاتينيين اذ لا يضعون الملح في خبز قدّاسهم * ونقول على وجه العموم انّ كلّ الطوائف المسيحية التي تستعمل الخمير

الشمّاس الدياقون · والانجيل لا يقرأهُ الشمّاس لكن القسّيس ومن فوقهُ · ويُحرَّم لديها على الاساقفة اكل اللحم وشرب الخمر · وترتّل كلها في طقوسها مدار يش مار افرام ومصنّفاتهِ ومصنّفات تلاميذهِ المنظومة كلها على اوزان خصوصيّة · ونقرأ في القدّاس فصولاً من العهد القديم قبل قراءة فصول العهد الجديد[1] · وتصوم صوم الباعوث في الاسبوع الثالث قبل الصوم الكبير[2] · واليوم البيعي يبتدئ عندها من المساء · وتقسم صلاة الليل الفرضيّة الى ثلاث قومات · وتستعدّ لعيد ميلاد الرب بذكر تجسُّد المسيح في الاسابيع الاربعة السابقة لذلك العيد · وتكنّي كلاً من آحاد السنة بالعيد السيّدي

في القدّاس تدوف خبزهُ بالملح ايضاً الا كنيسة القبط بمصر * واما البيعة الانطاكية فيشهد القدّيس مار افرام السرياني الذي اشتهر في القرن الرابع انها كانت في ذلك العصر تستعمل الملح في خبز القدّاس استعمالاً طقسياً * ومن ذلك يتاكد لدينا ان الكنائس الانطاكية في القرن الرابع نفسهِ كانت تستعمل الخمير في القدّاس استعمالاً طقسياً · لانهُ لا يتصوَّر استعمال الملح مع الفطير · واما دخول الزيت في خبز القدّاس فهو وحدهُ خاصّ للكنائس السريانية · كثيرًا ما عارضتهم فيهِ بقية الطوائف · ولكن من شهادة مار اسحاق الانطاكي الملفان في ميمرهِ على الشهداء يتضح ان هذه السنّة كانت جارية في البيعة الانطاكية منذ ذلك العصر اي في القرن الخامس الذي فيه اشتهر مار اسحاق المذكور * ونعلم من اساطير الامّة النسطورية ان احد بطاركتها وهو يوحنا بن عيسى الملقب بالاعرج الذي جلس سنة ٩٠٠ للميلاد ذكر سنّة وضع الزيت في خبز القدّاس مع الملح وذلك في القانون الرابع من قوانين السندوس الذي عقدهُ * ولا حاجة ان ننبّه ان الزيت الذي يدخل في خبز القدّاس عند الطوائف السريانية يكون مقدارهُ قليلاً جدًّا بحيث لا يكاد يشعر بهِ *

(١) في طقس الروم فصول العهد القديم تقرأ في صلاة المساء لا في القدّاس *

(٢) ان هذا الصوم الذي هو ثلاثة ايام عند الطوائف السريانية ويسمونهُ صوم نينوى يصومهُ الارمن ايضاً ولكن خمسة ايام · والروم يكرهون صوم الارمن هذا الذي يقولون لهُ اراجافور والروم يسمونهُ ارتزيبوربون وينسبون اليهم فيهِ خرافات وشناعات *

الذي قبلهُ كالدنح اي (الغطاس) والقيامة والعنصرة وغيرها . ويوم الاحد السابق ليوم الاثنين الاوّل من الصوم هو محسوب عندها من الصوم ويسمى الاحد الاوّل من الصوم (١) . ولا تذكر العذراء الطوباوية والقديسين في طقوسها الخشوعية اي في الايّام الصوميّة وفي اسبوع الحاش وفي ذكر الموتى . وتقضي طقس سرّ الزيجة بعقد لفظيّ يعقدهُ الخطيبان بحضرة القسيس والشهود امّا بنفسيهما وامّا على يد وليّيهما قبل تكليلهما . وفي هاته الامور الخمسة الاخيرة تتفق الكنيسة الغربيّة مع هذه الكنائس السريانيّة دون البيعة اليونانيّة اتفاقًا يُذكر . الى غير ذلك * فلو كانت هذه الطوائف قد رفضت الاتفاق مع البيعة الملكيّة في الامور الطقسيّة لما اتّفق بعضها مع بعض فيها . لانّ كل طائفة منها لم تكن تبغض الملّة الملكيّة اكثر من بغض بعضها لبعض . بل ان اليعاقبة كانوا يتحبّبون الى الملكيّين في كل زمان * وكل منصف يحكم ان شهادة ثلاثة متفقين تبطل شهادة واحد * ثمّ لنعتبر ان شيعة اليعاقبة تتفق اتّفاقًا خصوصيًّا مع بيعة الملكيّين في بعض الامور الطقسيّة اذ اخذت حين انفصالها ما كان معمولاً بهِ في ذلك الزمان في البيعة الانطاكيّة وفي البيعة القسطنطينيّة معًا . فان اليعاقبة يتفقون مع الملكيّين في استعمال الملعقة في القدّاس (٢) . وفي تقسيم الاغانيّ البيعيّة الى ثمانية الحان . وفي اعياد شتى كدخول المسيح الى الهيكل وانتقال العذراء والتجلّي وغير ذلك من الاعياد ممّا لم يوجد في الاصل عند النساطرة . وفي تلاوة قدّوس الله في بدء كل ساعة

(١) اللاتين في ذلك يتفقون مع الروم اذ عندهم يوم الاحد الذي بعد الاربعاء الاولى هو الاحد الاوّل من الصوم *

(٢) وذلك جزء من الفرق . وهو ان اليعاقبة لا يستعملون الملعقة الاّ لمناولة الاقليرس والرهبان . واما الملكيون فيستعملونها لمناولة العلمانيين ايضًا . وذلك محدث بلا شكّ . فانهُ من المجمع الترلّي المسمى مجمع النصر المعقود في القسطنطينية سنة ٦٩٠ نعلم بالتأكيد انهُ في ذلك العصر كان المؤمنون بعد باقين على السنّة القديمة وهي ان يتناولوا القربان المقدّس باكفّهم * واما الموارنة فكانوا في اواخر القرن السادس

من ساعات الصلوة الفرضيّة وختامها · وفي استعمال نشيد مريم الذي اولهُ تعظّم نفسي الربّ في الصلوة الفرضيّة مع سائر التسابيح الكتابية · وفي انهم في الايّام الصوميّة من الصوم الكبير لا يقدّسون القدّاس لكن يستعملون طقس القربان السابق تقديسهُ (١) ·الى غير ذلك *واتخذ اليعاقبة من بعد انفصالهم ايضًا من الملكيّين شيئًا من عوائدهم الطقسيّة الآتية اليهم من الطقس القسطنطيني · من ذلك كثير من الاعياد وخلاط عقاقير عطريّة في زيت الميرون ما عدا البلسم واستبداد البطريرك بتقديس الميرون وحدهُ *ومن ذلك يتّضح بغاية التاكيد انهُ لوكان طقس الملكيّين كما هو اليوم قد وُجد في البيعة الانطاكيّة في زمان انفصال اليعاقبة منها لوُجد اليوم هذا الطقس برمّتهِ عند اليعاقبة · بل انّنا نعلم انهُ لمّا أدخلت البيعة اليونانيّة في طقسها في القرن الثامن وما بعدهُ القوانين التسبيحيّة المؤلّفة من القدّيس يوحنّا الدمشقي وامثالهِ لم تأنف البيعة اليعقوبيّة من ان تقتدي بها في ذلك وتحذو حذوها كما ذكرنا سابقًا ·ثم اننا نعلم ان الذين رتبوا طقس

عشر نسخ يستعملون الملعقة في القدّاس لمناولة الاقليرسيين والعلمانيين كما يشهد دَنديني اليسوعي الذي أرسل قاصدًا رسوليًا الى طائفة الموارنة من قبل الكرسي الرسولي الروماني سنة ١٥٩٦ *

(١) ان الروم لا يقدّسون القدّاس في الايام الصومية من الصوم الكبير كلها حتى اذا وقع فيها عيد الاربعين شهيدًا · ولا يستثنون الاّ عيد البشارة وخميس الفصح وسبت النور · واما السريان فما عدا هذه الايام الثلاثة يقدّسون ايضًا في الاربعاء نصف الصوم وفي جمعة الاربعين وهي السابقة لسبت لعازر · وفي زماننا هذا يقدسون ايضًا في عيد الاربعين شهيدًا ولكن سابقًا كانوا ينقلون هذا العيد الى السبت الاقرب من ٩ اذار * واعلم انّ النساطرة يجوز عندهم القدّاس كل يوم في الصوم الكبير الاّ الاسبوع الاوّل والاسبوع الاخير · ومن ذلك نفهم ان سنّة القربان السابق تقديسهُ لم تكن موجودة في البيعة الانطاكيّة في القرن الخامس الذي فيهِ انفصل النساطرة من البيعة المذكورة * والارمن ايضًا لا توجد عندهم سنّة القدّاس السابق تقديسهُ في الصوم * ولا غرو. فان هذه السنّة اوّل من اسنّها كان المجمع الترلي اليوناني (في القرن السابع)*

البيعة الملكية كما هو اليوم عاشوا بعد القرن السابع فكيف يجوز ان يقال ان النساطرة واليعاقبة والموارنة الذين انفصلوا من الملكيين قبل ذلك العهد غيّروا طقس البيعة الانطاكية * ان القاضي المنصف الخالي من التغرض والتعصب يحكم بعكس ذلك اي يجزم ان اكثر الاختلاف الطقسي الموجود اليوم بين الملكيين وسائر طوائف البطريركية الانطاكية ليس هو حاصلاً من ان هذه الطوائف غيّرت طقس البيعة الانطاكية لكن من ان الامة الملكية بسورية بعد ان هجرتها تلك الطوائف بزمان تبعت طقس البيعة القسطنطينية التي كانت هي قد تبعتها في المذهب والتي الى يومنا هذا تلزم كل الذين يتبعونها في المذهب ان يتبعوها في الطقس . وهكذا هذه البيعة القسطنطينية ما عدا البطريركية الانطاكية الزمت البطريركية الاسكندرية وسائر البلاد التي كانت يوماً خاضعة لملوك قسطنطينية في اوروبا واسيا ان لا يكون لهن غير الطقس القسطنطيني . وبالاجمال فان الملكيين هم الذين غيّروا الطقس الانطاكي لا الطوائف الشرقية الانطاكية التي انفصلت منها * وبكلامنا هذا ليس مرادنا ان نجعل لوماً على الملكيين لاتباعهم في الطقس الكنيسة القسطنطينية . حاشا ثم حاشا . فانهم بذلك قد اتبعوا طقساً مشهوراً وذا محاسن كثيرة بديعة ومنتشراً اليوم اكثر من طقس البيعة الانطاكية بكثير . ثم انهُ ولو كان امر الطقس ليس امراً جوهرياً في الديانة الا ان اتحاد الكنائس فيهِ واتفاقهن عليهِ خير من الاختلاف والتباين . ويا ليت كنائس بلاد الشرق كلهن يتفقن في الطقس وفي السياسة الشرعية البيعية وفي الاسقفية بعضهن مع بعض كما هو حال كنائس بلاد الغرب كلها وما يلوذ بها *

وان كان بعد هذا الشرح كلهِ يوجد من يشك في ان طقس الملكيين كما هو اليوم هو آتٍ الى سورية من البيعة القسطنطينية فنرغب اليهِ ان يمتحن هذه الامور التي نحن موردوها * فنقول انه لا يشك احد خبير

بتواريخ البيعة في ان طقس الروم لا يمكن ان قد صُنع ورُتّب على ما هو عليهِ اليوم قبل اواخر القرن السابع* والمعلوم ايضاً من التواريخ ان هذا الطقس بدأ في نحو القرن العاشر ان يكون عاماً للبطريركيات الملكية الاورشليمية والانطاكية والاسكندرية ماعدا القسطنطينية مع سائر الكنائس العديدة المتعلقة بكل من هذه البطريركيات الاربع . ومن جهة اخرى لا بدّ من ان هذا الطقس نشأ في احدى الكنائس او البطريركيات ومن هناك انتشر الى باقي الكنائس* وذلك لانهُ لما كان الرسل لم يرسموا ويحدّدوا من الطقس الّا الاوّليات والاصليات وتركوا الفرعيات لعهدة الاساقفة فالعقل يحكم بانهُ قبل ان صار الطقس واحداً في البلاد الواسعة التي ذكرناها لا بدّ من انهُ كان يوجد اختلاف كبير في هذه البلاد بين بعضها بعض في امور الطقس * وها ان التواريخ البيعية تشهد لنا بذلك * وحسبنا شاهد واحد يوناني لا تُرَدّ شهادتهُ وهو سقراط القسطنطيني المؤرّخ المشهور الذي عاش في القرن الخامس . طالع الفصل الحادي والعشرين من الكتاب الخامس من تواريخهِ حيث يعدّ بتفصيل عجيب شيئاً كثيراً من الاختلافات العظيمة التي كانت في عصرهِ بين الكنائس شرقاً وغرباً في الاصوام والصلوة والقدّاس والاعياد وغير ذلك من الطقوس البيعيّة* ومن الجملة يذكر ان البيعة الانطاكية كانت المذابح فيها متّجهة نحو الغرب *ونعلم من التواريخ ان البيعة الانطاكية كانت تعيّد عيد ميلاد الرب في اليوم السادس من كانون الثاني مع عيد الدنح ويشهد لذلك مار افرام في مواضع عديدة من مؤلفاتهِ ويوحنا فم الذهب في خطبهِ . ونعلم ان الشرقيين لم يبدأوا ان يعيّدوا هذا العيد في ٢٥ كانون الاوّل تبعاً للبيعة الغربية الّا في نحو اواخر القرن الرابع . ولم يبقَ على اليوم السادس من كانون الثاني الّا الارمن *ثمّ ان مما نعلمهُ من تواريخ البيعة الانطاكية ان سويرس او ساويرا الذي جلس بطريركاً شرعياً على كرسي انطاكية قد صنّف باليونانية ترنيمات شتى لاعياد

السنة كلها بحسب طقس البيعة الانطاكية . ومن هذا نفهم ان طقس الصلوات القانونية كان في البيعة الانطاكية مختلفاً جداً في القرن السادس مما هو اليوم عند الروم * وسنرى عما قليل ان بلسمون البطريرك الانطاكي على الروم شهد ان الملكيين في سورية كانوا بعد يقدسون في القرن الثاني عشر بليترجية مار يعقوب وانهم في برّ مصر كانوا يقدسون بليترجية مار مرقس . ذلك على رغم ما افرغته البيعة القسطنطينية من السلطة والسطو على الكنائس الشرقية لتحملها على ان تحذو حذوها في كل شيء * ونعلم ايضاً من كتب التواريخ ان البيعة الاورشليمية في القرن الحادي عشر كانت تستعمل في القداس ليترجية مار يعقوب وانها لم تكن تستعمل الحربة في القداس ولا تقص خبز القداس مربعاً . ولا حاجة الى التمثل بحال الكنائس الغربية فان الخبير يعلم ان هذه الكنائس لم يتفق بعضها مع بعض في امور الطقس باتخاذها كلها طقس البيعة الرومانية الا في الازمان المتأخرة وذلك رويداً رويداً مع انها لا تخلو من بعض الاختلاف الى يومنا هذا . وذلك كله يضطر المنكر ان يسلّم ان الطقس الرومي على ما هو عليه اليوم لم يكن ممكناً ان يكون في الاول عاماً للبلاد كما هو اليوم بكل الدقة التي نراه عليها في كل مكان . فلا بدّ من انه ظهر اولاً في احدى البطريركيات الاربع المعلومة وانتشر بعد ذلك الى البواقي فتركت هذه البواقي طقوسها الخصوصية وتمسكت بهذا الطقس الجديد . والحال ان ذلك لا يصح الا في كنيسة قسطنطينية التي منذ القرن الخامس كانت تحسب نفسها امّ جميع كنائس المشرق وكانت كنائس المشرق كلها خاضعة لها اما طوعاً واما كرهاً الا الطوائف التي انفصلت كما شرحنا آنفاً . ولذلك فلا يقبل العقل ان البيعة القسطنطينية التي كان هذا شأنها كانت ترضى ان تتخلى عن طقسها وتتبع طقس البيعة الاورشليمية او الانطاكية او الاسكندرية ولا سيما مع ما حصلت عليه هذه البيع الثلاث من الانحطاط والذل منذ استولى على بلادها العرب المسلمون . ذلك

وحدهُ كافٍ ليقنعنا بان الطقس الذي يسمى اليوم الرومي او اليوناني حقهُ ان يسمى القسطنطيني لان الكنيسة القسطنطينية رتبتهُ وألّفتهُ وزيّنتهُ بنفائس الآباء الفاضلين الذين بعضهم كانوا من البيعة الاورشليمية او الانطاكية وامرت باستعمالهِ دون غيرهِ . ويتضح ايضاً من ذلك ان هذا الطقس لا يستحقّ ان يسمّى الشرقيّ نسبةً مطلقةً لوجود طقوس اخرى شرقيّة . بعضها اقدم منهُ زماناً (١) بل اكثر منهُ شرقيّةً اي منشأُها ومنتشرها كانا في بلاد متّجهة نحو الشرق اكثر من الطقس القسطنطينيّ *

ونعدل عن ايراد بقيّة البيّنات التاريخيّة التي منها يتضح انّ الطقس الذي كلامنا عنهُ اصلهُ من القسطنطينيّة (٢) . وان البيعة القسطنطينيّة كانت دائمًا تلقي سطوتها على البطريركيّات الشرقيّة حتّى في امور الطقس (٣) *

وحسبنا ان نذكر انّ بلسمون البطريرك الانطاكيّ على الملكيّين الذي كان ساكنًا مدينة القسطنطينيّة في القرن الثاني عشر والثالث عشر لمّا بلغهُ انّ الكنائس الملكيّة في بلاد الشام كانت تستعمل في القدّاس ليترجيتها القديمة المنسوبة الى مار يعقوب وانّ الكنائس كذلك في بلاد مصر كانت

---

(١) سنرى قدّامك اخصّ الامور التي فيها يختلف الطقس الرومي من بقية الطقوس الشرقية . وهذه الامور هي كلها محدثة دخلت في الطقس الرومي في الازمان التابعة لعهد انفصال الطوائف الشرقية من البيعة الملكية . فمن هذا القبيل ايضاً يسوغ لنا ان نحكم ان الطقوس الشرقية هي اقدم من الطقس الرومي * (٢) طالع الشرح في ذيل الرسالة *

(٣) اعتبر هنا الفرق في هذا الامر بين سيرة البيعة القسطنطينية وسيرة البيعة الرومانية . وذلك ان البيعة القسطنطينية اذا قصدت جماعة من غير ارثذكسيتها ان تنضم اليها وتتحد معها تلزمها ان تتبعها في الطقس تاركةً طقسها الخصوصي ما عدا اتباعها في المعتقد * واما البيعة الرومانية فلا ننكر انها كانت تعرض في الاوّل على الجماعات الشرقية التي كانت تقصد ارثذكسيتها ان تغير شيئاً يسيرًا من طقوسها الخصوصية ولكن بعد ذلك تساهلت معهم كل التساهل حتى اننا نرى ارثذكسية البيعة الرومانية تشمل اليوم ثمانية طقوس مختلفة مع فروعها . واما مذهب البيعة القسطنطينية فلا يحوي الاّ طقسًا واحدًا *

تستعمل ليترجية البطريركية الاسكندرية القديمة المنسوبة الى مار مرقس.
امر الطائفتين بالكف عن ذلك وجزم انهُ لايجوز التقديس الا بليترجيتي الكنيسة القسطنطينية وهما المعروفتان باسم القديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس الكبير محتجاً بان جميع الكنائس في العالم يجب عليها ان تتبع الكنيسة القسطنطينية في الطقس* وهنا فلك ان تعتبران بلسمون لم يبن برهانهُ لابطال استعمال ليترجيتي يعقوب ومرقس على عادة البيعة الجامعة الشرقية كما كان يُنتظر منهُ لو كان رأيهُ كالراي الذي ننتقدهُ. لكن على سنة البيعة القسطنطينية * فها اذاً شاهداً الا يُرَدّ من طائفة الروم الملكيين نفسها وهو احد بطاركة انطاكية يشهد ان الطقس الذي تمسك بهِ الملكيون في سورية اصلهُ من قسطنطينية * والحاصل من كل ما شرحناهُ الى الآن انهُ لو لم تلقِ البيعة القسطنطينية سطوتها في القرون الماضية على الملكيين التابعين مذهبها في بلاد الشام وفلسطين ومصر لكان طقس هؤلاء الملكيين اليوم مشابهاً غاية المشابهة لطقس اليعاقبة والموارنة في بلاد الشام ولطقس القبط في مصر. واما اورشليم فلا نعلم بالتاكيد كيف كان طقسها قبلما اتخذت الطقس القسطنطيني الا شيئاً زهيداً. لان اورشليم وسائر فلسطين لم يقم فيها شيعة مفصولة من البيعة الملكية في القرون السالفة* وحسبنا ان نذكرها ان البيعة القسطنطينية هي التي بذلت جهدها في كل زمان في أن لا يقوم على كراسي بلاد الشرق كلها الخاضعة لمذهبها الديني الا اساقفة يونانيون *

واعلم ان البيعة القسطنطينية لمّا ألّفت ورتّبت هذا الطقس الذي يقال لهُ اليوناني لم تخترعهُ اختراعاً من عين اصلهِ. لكن كوّنتهُ من زيادات وتحسينات وتفصيلات اضافتها الى الطقس الاصلي الذي كان لها والذي في اصولهِ الجوهرية كان عمومياً لكل الكنائس الشرقية. وهكذا تميّز الطقس القسطنطيني من بقية الطقوس الشرقية * فمما يتميّز بهِ هذا الطقس

من بقيَّة طقوس الكنائس كلها حتى الشرقيَّة: (١) استعمال الاسقف الديكاربون او التريكاربون (وهو شمعتان او ثلاث مقرونة على مقبض) عندما يبارك الجماعة: (٢) استعمال السكّين او الحربة في القدّاس: (٣) تقديم خبزة كبيرة في القدّاس وقصّها مربعة وتجزئتها أجزاء وتسمية كل جزء منها باسم: (٤) مزج ماءٍ حارٍّ في الكاس من بعد تقديسهِ: (٥) استعمال غفَّارة مسدودة من قدام: (٦) اجتماع اكثر من كاهنٍ واحدٍ في قدّاسٍ واحدٍ على مذبح واحد[1] يقدّسون كلهم[2]: (٧) استعمال طبليت من قماش المائدة. (الطبليت هو ما يُوضع عليهِ الكاس والصينيَّة في القدّاس): (٨) استعمال الخبز والخمر في الصلوة القانونيَّة بصورة طقسيَّة: (٩) الانقطاع عن اكل اللحم في الاسبوع السابق للصوم الكبير: (١٠) الانقطاع كذلك في عيد الصليب وعيد قطع راس يوحنَّا المعمدان: (١١) وضع عقاقير عطريَّة

(١) ان الموارنة اليوم عندهم ايضاً شيء من هذه العادة · ولا شكّ انّ ذلك محدث عندهم دخل لديهم من التشبه بالروم · لان الآثار القديمة التي عند السريان لا تحوي ادنى حجة تؤيد هذه العادة · فان عادة السريان هي ان يقدّس القسوس جميعاً في وقت واحد لكن كلٌّ منهم على مذبح ولهُ قربان على حدة *

(٢) ان الموارنة في القرن السادس عشر لم يكونوا يقدّسون الاّ قدّاساً واحداً في اليوم كما هي سنّة سائر البيع الشرقية من ارمن ونساطرة و يعاقبة سريان وقبط · اما عند الارمن والنساطرة فهذا القدّاس الواحد يقدّسهُ كاهنٍ واحد بمفردهِ · واما عند القبط فيعاونهُ فيهِ غيرهُ من الكهنة · واما السريان فتقدّس كل كهنتهم معاً قدّاساً واحداً لكن كلٌّ منهم على مذبح بمفردهِ · واما الموارنة فاليوم قد يقدّس جملةٌ من كهنتهم معاً على مذبح واحد مثلما يفعل الروم · ولكن من نصّ دندبني اليسوعي الذي ارسلهُ البابا قاصداً الى الموارنة سنة ١٥٩٦ يظهر انهُ في ذلك الزمان لم يكن الكهنة عند الموارنة يرافقون الكاهن الذي يقدّس ليقدسوا معهُ لكن ليعاونوهُ في القداس * واما الروم فوحدهم من جميع الطوائف الشرقية تجوز عندهم القداديس المتتابعة في اليوم الواحد بشرط ان لا يقدّس قدّاسان على مذبح واحد * ولا حاجة الى القول ان جميع الطوائف الشرقية التي خضعت للبيعة الرومانية صارت الكهنة تقدّس فيها كل يوم فرادى بالتتابع على مذبح واحد او على مذابح مختلفة اقتداءً بالبيعة الرومانية المذكورة *

في دهن الميرون ما عدا البلسم : (١٢) استقلال البطريرك بتقديس الميرون (قد اقتدى بالروم في هذين الامرين الاخيرين طوائف أخرى من الشرقيين في الازمان المتأخرة) : (١٣) تكريس القسوس دهن الموعوظين حين العماد : (١٤) استعمال الاساقفة تاجًا مدوَّرًا : (١٥) تربية القسوس شعر روؤسهم : (١٦) جعل اكرام الصوَر فرضًا طقسيًّا قانونيًّا داخلاً في الصلوة والقداس : (١٧) حفظ القربان المقدَّس في خميس الفصح طول السنة لاجل المرضى[١] : (١٨) الصوم في ليلة عيد الدنح اي الغطاس : (١٩) نقل الكف عند التصليب على الوجه الى الكتف الايمن ثم الى الايسر اذ ان باقي الطوائف كلها تنقل الكفّ أوّلاً الى الكتف الايسر ثمّ الى الايمن : (٢٠) وضع اساقفتهم الاسكيم فوق القلنسوة اذ أن بقيّة الطوائف تضعهُ تحت القلنسوة او العمامة[٢] * هذه وغيرها هي خصوصيات الطقس القسطنطيني ولا توجد في بقيّة الطقوس الشرقيّة ولا الغربيّة . وبها يتميَّز هذا الطقس من سائر الطقوس التي في العالم . ولا يجوز ان نسمّي شرقيّة تسميةً مطلقةً لانها ليست عامّة لكل الكنائس الشرقيّة لكن خاصّة لواحدة منهنّ فقط *

وبعد كل ما شُرح الى هنا فلا نتعجب من اننا لا نرى في الآثار القديمة السابقة لعهد شقاقات الشرقيين شيئًا يُستدَلّ منهُ على ان البيعة الانطاكيّة كانت تسمّى يونانيّة او روميّة في تلك الازمان [٣] * نعم ان الشرقيين اي النساطرة واليعاقبة والموارنة يسمون في كتبهم الملكيين يونانيين او روميين لكن من جهة المذهب لا من جهة اللغة والجنس . وذلك لكونهم اي الملكيين

(١) هذه العادة كانت دخلت لدى طائفة الملكيين بسورية في القرن السابع فان يعقوب الرهاوي الامام اليعقوبي المشهور الذي عاش في ذلك القرن ذكرها في قوانينهِ وذمها (٢) طالع الشرح في ذيل الرسالة *

(٣) نعلم ان البيعة اللاتينية تسمي كتب طقسها رومانية . واما البيعة الروميّة او اليونانية فلم تسمِّ كتبها الطقسية رومية او يونانية قط . ولا نجد ذلك في عنوان كتاب واحد من كتبها البيعية ابدًا *

كانوا تابعين اليونانيين اي الروم القسطنطينيين في المذهب الديني . مثلما طوائف المشاقين في بلاد الشرق كانت تسمينا نحن الكاثليكيين افرنجًا لا لكوننا افرنجًا في اللغة والجنس . لكن لكوننا لنا نحن والافرنج مذهب واحد ديني ✱

ولعلّ معترضًا يعترض قائلاً . انّ الليترجيّة الاصليّة التي لليعاقبة وهي المنسوبة الى مار يعقوب الرسول هي بلا شك منقولة من اللسان اليوناني فها شاهدًا جليلاً ناطقًا يشهد ان اللغة اليونانيّة كانت اللغة الطقسيّة في برّ الشام حتى عند اليعاقبة ✱ فنجيب . لا ننكر ان ليترجيّة مار يعقوب المذكورة اصلها هو يوناني[1] ولكن لا ينتج من ذلك ما يريدهُ المعترض ✱ وسبب ذلك هو ان هذه الليترجيّة استعارها اهل سوريّة في نحو القرن السادس او السابع من بيعة اورشليم التي فيها ظهرت هذه الليترجيّة وذلك لشدة اعتبارهم لها اذ اتخذوها انها بالحقيقة من وضع مار يعقوب الرسول نفسهِ . وانهُ بها قدّس اولاً بعد صعود المسيح الى السماء . واذ كانت بيعة اورشليم قد اضحت

---

(١) ان ليترجية مار يعقوب هذه السريانية التي عند اليعاقبة تختلف لا في اصولها لكن في فروعها من الليترجية اليونانية المعروفة اليوم . وسبب ذلك ان يعقوب الرهاوي احد ايمة اليعاقبة الذي عاش في القرن السابع ومبادئ الثامن راجعها على الاصل اليوناني ونقحها ورتبها وجعل لها هيئة جديدة ✱ ومن المحتمل ان هذه الليترجية لم تكن تحوي الاّ الجوهريات لما دخلت في سورية ثمّ كل طائفة من الملكيين واليعاقبة نقحتها ورتبتها واوسعتها على حدة فظهرت مختلفة عند الواحدة مما هي عند الاخرى ✱ وهاهنا لا نقدر ان نمسك عن التعجب اذ نرى ان بعض الكتاب اليونانيين القسطنطينيين المتأخرين يزعمون ان البيعة المسيحية كلها او على الاقل في بلاد الشرق كانت في الاوّل تستعمل ليترجية عملها مار يعقوب الرسول في هذا الشأن . وانهُ بعد ذلك لما رأى باسيليوس الكبير ان تلك الليترجية طويلة فوق الحدّ وضع بدلها ليترجيتهُ المعروفة . وانهُ لما جلس يوحنا فم الذهب على كرسيّ القسطنطينية ورأى ان ليترجية باسيليوس ايضًا هي طويلة ألّف ليترجيتهُ المستعملة اليوم في البيعة اليونانية . كم وكم من الاعتراضات التي لا ردّ عليها تقوم على هذا الزعم ✱

يونانية منذ مبادئ القرن الثاني كما ذكرنا في المقالة الاولى فلا عجب ان ليترجيتها هذه في القرن السادس كانت يونانية حتى انهُ لمّا دخلت في سورية اقتضى ترجمتها الى السريانية. واما قبل القرن الرابع فالليترجيات لم تكن مكتوبة كما يشهد القديس مار باسيليوس الكبير (١)* وقبلما دخلت في سورية ليترجية اورشليم التي كلامنا عنها كانت البيعة في سورية تستعمل ليترجية سريانية غير مكتوبة وهي التي كُتبت بعد ذلك وحُفظت عند النساطرة وهم يسمّونها باسم الرسل. وعند الموارنة وقد وضعوها في الطبعة الاولى من كتاب قدّاسهم سنة ١٥٩٠ برومية مسمّاةً باسم مار بطرس الرسول. وهذه الليترجية السريانية على ما نرى هي اقدم من سائر الليترجيات المكتوبة المعروفة اليوم في كل الكنائس. وهي سريانية محضًا ليس فيها شيء من اليوناني حتى ولا لفظة كيريا اليسون (٢) الموجودة في اكثر الليترجيات *

---

(١) مما يوجب الاسف ان الاعصار الاولى لم تخلف لنا شيئًا يذكر من كتب الليترجيات التي كان المسيحيون الاوّلون يستعملونها كما خلفت لنا كتبًا اخرى نفيسة ثمينة قديمة جدًّا. وسبب ذلك هو ان كتب الليترجيات لاستعمالها الدائم وتداولها بين الايدي كل يوم كانت تهرّى سريعًا ولم يمكن حفظها زمانًا. وكانت هذه الصعوبة اكثر من جهة كتب السريان اليعقوبيين اذ انهم ولو كانت عادتهم كسائر الاوّلين ان يكتبوا كتبهم على جلد الرق لكن استثنوا من ذلك كتاب الليترجية اذ لا يجوز عندهم ان يوجد على المذبح ادنى شيء من الجلد حتى ان كتب القداس لا يشدّونها الا بالقماش وذلك لاقامة الحجة على النساطرة الذين لا يجوز القداس عندهم الاّ على اندمجي من جلد* ويجدر بنا ان ننبه هنا محبي العلوم التاريخية ان الكتب السريانية القديمة المحفوظة اليوم في خزائن مدن اوروبا الشهيرة هي اقدم من كتب سائر لغات العالم كلها شرقًا وغربًا *

(٢) ان لفظة كريا اليسون موجودة في ليترجية الموارنة التي كلامنا عنها في النسخة المطبوعة التي تقدّم ذكرها. الاّ انهُ من المحتمل بل الراجح ان هذه اللفظة دخلت فيها بعد زمان اي لما اخذ الموارنة يستعملون الليترجيات الحديثة الموجودة عند اليعاقبة ايضًا. وكيفما كان الامر فان بيعة النساطرة اي الكلدان لا يوجد في طقسها لفظة كريا اليسون على الاطلاق ولا لفظة اخرى يونانية طقسية* طالع الملحق الثاني في ذيل هذه الرسالة *

فقد توهم اذاً واي توهم من زعم انهُ كما ان البيعة الغربية مخصوصة بكون لسانها الطقسي هو اللاتيني كذلك البيعة الشرقية لسانها الطقسي هو اليوناني . فانهُ ان كان الاول صحيحاً فليس كذلك الثاني كما يتضح من كل ما شرحناه الى الآن * وان كانت اللغة اليونانية هي لغة طقس واحد من الطقوس الشرقية وهو القسطنطيني فاللغة السريانية هي لغة ثلاثة طقوس شرقية . اي طقس الكلدان وطقس السريان وطقس الموارنة . وكانت يوماً ايضاً لغة طقس الملكيين في غالب بلاد سورية * بل ان اوّل طقس ظهر في البيعة المسيحية كان باللغة السريانية . لانّ اقدم طقس عُمل كان في اورشليم كما هو واضح ولا يوجد من ينكرهُ الاّ من انكر صدق الانجيل نفسهِ . والحال انّ اهل اورشليم وتلاميذ المسيح ولا سيما رُسُلهُ وخلفاءهُ الاوّلين الذين كانوا رؤساء اوّل بيعة مسيحية قامت على الارض كانوا يتكلمون بالسريانية كما اثبتنا ذلك في محلهِ . فاذاً اوّل طقس ظهر في البيعة المسيحية كان باللغة السريانية . كما ان اوّل بيعة مسيحية قامت على الارض كانت سريانية لغةً * وان كان البيعة اليونانية تنسب ليترجيتها الى الملفانين العظيمين يوحنا فم الذهب و باسيليوس فالكلدان ينسبون ليترجيتهم الى الرسل و بالخصوص القديس ادّى او تدّى رسول الرها والمشرق . والسريان الى القديس يعقوب اوّل اساقفة اورشليم . والموارنة الى بطرس زعيم الرسل * وان قيل بان دعوى هذه الشيع في انتساب ليترجياتها ليست ثابتة بحجة راهنة . فيُجاب ان دعوى الروم ايضاً بتسمية ليترجيتيهم باسم القديسين باسيليوس وفم الذهب لم تثبت الى الآن لدى العلماء المحققين بحجج راهنة مزيلة كل شك ولا سيما من جهة يوحنا فم الذهب . لانهُ الى الآن لم يمكن للعلماء ان يعرفوا بالتأكيد اصل الليترجية المسماة باسم هذا الملفان الجليل (١) ومتى دخلت في الاستعمال

(١) ان صح ان هاتين الليترجيتين اليونانيتين هما من تاليف القديسين المعظمين المنسوبتين هما اليها فلا يمكن ان يصح ذلك الاّ في جوهريانها . لانهُ لا يصدّق ان

في قسطنطينية * نعم ان النساطرة قد اضافوا الى ليترجيتهم الاصلية المنسوبة الى الرسل ليترجيتين اخريين مسمّاتين باسم أيمّتهم . واليعاقبة زادوا على ليترجية مار يعقوب اكثر من اربعين ليترجية جديدة [1] من تصنيف أيمّتهم منسوجة على نسق ليترجية مار يعقوب هذه . ونسبوا بعضها الى الرسل او الى الآباء والملافنة . والموارنة عندهم ليترجيات أخرى ايضاً غير الليترجية المنسوبة الى مار بطرس الرسول . ولم يبقَ الاّ الارمن بالليترجية الواحدة التي كانت لهم قديماً [2] . الاّ ان ذلك كلهُ لا يقلل قدر

فم الذهب في القرن الرابع جعل في ليترجيتهِ الربريكات الموجودة فيها اليوم . مثلاً ان يجزَّأ خبز القدّاس اجزاء معدودة قبل تقديسهِ وان يسكب ماءٌ سخن في الكاس بعد تقديسهِ وغير ذلك من حركات الكاهن والشماس كالسجود لايقونة المسيح وما اشبه . ولا ان باسيليوس ترك شيئاً من طقسيات القدّاس ناقصاً وامر ان يتم ذلك من ليترجية فم الذهب الذي عاش بعده . فلاشك ان ربريكات هاتين الليترجيتين ليست من تاليف هاذين الملفانين * وقس على ذلك ليترجية القربان السابق تقديسهُ الذي يقال لهُ في اليونانية برواجيسمينه وهي الليترجية اليونانية المنسوبة الى مار غريغوريوس اللاهوتي * وان جاز لنا ان نبدي راينا الضعيف في امر الليترجية المنسوبة الى يوحنا فم الذهب قلنا ان هذه الليترجية تستحق الاعتبار العظيم لا لكونها منسوبة الى هذا الملفان الجليل لكن لكونها تحوي في ذاتها حججاً ساطعة و براهين قاطعة على قدمها العظيم بمعزل عن الزيادات التي زادتها عليها البيعة القسطنطينية . فان اشرف الليترجيات الشرقية القديمة شبيهة شبهاً عجيباً بليترجية فم الذهب هذه وعلى الخصوص ليترجية الكلدان التي هي من اقدم ليترجيات العالم وليترجية الموارنة المنسوبة الى مار بطرس وليترجية الارمن نفسها . فيرجح عندي الظن ان هذه الليترجية الذهبية كانت ليترجية البيعة الانطاكية لليونان قبل ان اتخذت طقس البيعة الاورشليمية وان هذا الملفان الجليل اخذها معهُ من انطاكية الى القسطنطينية حين جلوسهِ على ذلك الكرسي ولذلك سميت باسمهِ *

(١) من جملة هذه الليترجيات اليعقوبية توجد واحدة مسماة باسم مار باسيليوس وهي عين ليترجية اليونانيين المسماة باسم مار باسيليوس مترجمةً بالسريانية ومرتبةً على نسق الليترجية المسماة باسم يعقوب الرسول التي هي الاصلية عند اليعاقبة *

(٢) ان القبط عندهم ثلاث ليترجيات أولاهنّ مسماة باسم مار باسيليوس وهي تختلف من ليترجيةِ اليونانية . والثانية باسم مار غريغوريوس . والثالثة باسم مارقورلس

الليترجيَّة الاصليَّة التي عند كلّ واحدة من هذه البيع كما يعترف العلماء المحققون . ونقول بالاجمال ان ليترجيّات القدّاس في كلّ الكنائس لانأْخذ قدرها واعتبارها من الاشخاص الذين تسمَّى باسمائهم لكن من استعمال البيعة لها . وهذه حقيقة قد اجمع العلماء المحقّقون على تقريرها * وأمّا أن ليترجيَّة مار يعقوب الرسول التي يستعملها اليعاقبة هي مقبولة في البيعة اليونانيَّة . فيتاكد ذلك من شهادة المجمع التروّلي المسمّى مجمع النصر المعقود سنة ٦٩١ والذي كان آباؤهُ كلهم يونانيين . فانهُ فيهِ استُشهدت هذه الليترجيَّة نفسها باسم مار يعقوب الرسول مع ليترجيَّة مار باسيليوس لتخطئة الارمن حيث يهملون ان يزجوا الماء في خمر القدّاس . والراجح انهُ من ذلك العهد بدأَت البيعة اليونانيَّة ان تمزج ماء سخنًا في الكأْس من بعد تقديسهِ * وقيل ان بيعة الروم في اورشليم تستعمل في القدّاس الى اليوم ليترجيَّة مار يعقوب اليونانية وذلك مرَّةً في السنة في عيد هذا القدّيس *

والحاصل انهُ ليس للبيَع الثلاث السريانيَّة حق اقلّ من البيعة اليونانيَّة ان تسمَّى بالشرقيَّة ان لم نقُل انها لها حق اكبر لانها شرقيَّة اكثر من البيعة اليونانيَّة . غير انَّنا لا ننكر ان طقس البيعة الثانية من البيَع السريانيَّة وهي بيعة الذين يسمَّون بالسريان على سبيل الغلبة يحوي اليوم دون الباقين الفاظًا وعبارات يونانيَّة محضة كما يحوي شيئًا منها الطقس اللاتيني نفسهُ واكثر من ذلك بكثير الطقس القبطيّ بمصر . وتلك حجّة كافية لتشريف اللغة اليونانيَّة وتفضيلها في البيعة على سائر اللغات الطقسيَّة . ذلك بمعزل عن الحجج الكثيرة التي تفضّل هذه اللغة السعيدة وتشرّفها على سائر لغات العالم من جهة العلم والادب * .

ولكن هنا يعترض المعترض قائلاً ان مشاهير العلماء المحقّقين ومنهم

الاسكندري * واما الحبشة فعندهم عشر ليترجيات * واما البيعة اللاتينية فليس عندها الاّ ليترجية واحدة كالارمن *

الاحبار الروماويون قد اعتادوا في الازمان القريبة الينا ان يقسموا البيعة المسيحيَّة الى شرقيَّة وغربيَّة ويسمّوا الشرقيَّة يونانيَّة والغربيَّة لاتينيَّة . فيجب ان قَسم البيعة المسيحيَّة الى شرقيَّة وغربيَّة هو امرٌ حديثٌ لا أساس لهُ في الانجيل ولا في سائر أسفار العهد الجديد ولا في تواريخ البيعة القديمة ولا في صُحف الآباء الاوَّلين . ولا في قوانين الكنيسة . ولا في طقوسها ولا في كتب الديانة المسيحيَّة وقوامها * وكيفما كان الامر في ذلك فلا مراء ان الذي حمل الفضلاء المارّ ذكرهم ان يدخلوا في اصطلاح الكنيسة النصرانيَّة هذه القسمة بين شرقيَّة وغربيَّة ليس هو اختلاف الطقوس لكن اختلاف العوائد الشرعيَّة اي القانونيَّة وما يشبهها الموجود على وجه العموم بين المسيحيّين الخاضعين لبطريركيَّة روميَّة . وهم الذين منهم تتألف البيعة الغربيَّة وبين نصارى سائر البطريركيَّات الذين يقال لهم الشرقيّون * ونحن نذكر هنا شيئًا من هذا الاختلاف الموجود بين الشرقيّين بالاجمال وبين الغربيّين كما يخطر بالبال * فمن ذلك ان الغربيّين يتخذ اسقفهم عندهُ وتحت يدهِ عدَّة من القسوس لهم مرتبة خصوصيَّة ويسمّون القانونيّين ليعينوهُ في سياسة البيعة . وان سرّ التثبيت يمنحهُ الشرقيّون مقرونًا بسرّ العماد . وان هذا السرّ اي سرّ التثبيت عند الغربيّين لا يخدمهُ القسّيس لكن الاسقف . وان الاسقف عند الغربيّين يلبس خاتمًا باصبعهِ وصليبًا على صدرهِ (وقد اقتدى بالغربيّين في ذلك اساقفة جميع الكنائس الشرقيَّة المتّحدة مع البيعة الرومانيَّة حتى الروم) . وان الغربيّين لا يباركون ماء العماد حين اعطاء هذا السرّ لكن في يوم معلوم من السنة وهو سبت النور أو سبت العنصرة فيبقى محفوظًا طول السنة . وامّا الشرقيّون فيباركون الماء في عيد الغطاس لا للعماد لكن للتبرّك . وان الشرقيّين لهم رتبة السجدة يقضونها في عيد العنصرة . وان الشمامسة والقسوس يجوز لهم في البيعة الشرقيَّة ان يبقوا مع نسائهم . وان خبز القدّاس يجب ان يكون في شرع الشرقيّين

مختصراً (١) . وان قداسهم يحوي بعد كلمات التقديس صلاةً يقال لها دعوة روح القدس . وان ترتيب اجزاء القداس على وجه العموم هو واحد في ليترجيات الكنائس الشرقيَّة تختلف مما هو في ليترجيَّة البيعة الرومانية . وأن الشرقيّين يبتدئون الصوم الخمسينيّ من يوم الاثنين اذا ان اللاتينيّين يبتدئونهُ غالبًا من يوم الاربعاء (٢) . وانهم ينقطعون عن اكل اللحم يوم الاربعاء من كل اسبوع اذ ان اللاتينيّين يمسكون يوم السبت بدل ذلك . وانّهم لا يجوز عندهم الصوم يوم السبت طول السنة الاَّ سبت النور (٣) . وأن عندهم اصوامًا طويلة ماعدا صوم الخمسين وامّا الغربيّون فعندهم اربعة اصوام لاربعة فصول السنة كلٌّ منها حاصل من ثلاثة ايام . وانّهم اي الشرقيّين لا يجوز عندهم اكل السمك مدة الصوم الخمسيني كلهِ الاَّ في عيد البشارة وعيد السعانين . وان الشموسيَّة الصغيرة اي الهبذياكونيَّة ليست عندهم من درجات الكهنوت الكبيرة المسمّاة المقدَّسة (٤) . وانهم ليس عندهم لدرجات الكهنوت الصغيرة الاَّ درجات المزمّر والقاري والهبذياكون . وان الغربيين في رسامة القسوسية والاسقفية يدهنون المرسومين بدهن الميرون . وانهم اي الغربيّين لا يقولون هللويه في الطقس في ايّام التوبة وايّام الحزن لان هذه الكلمة هي عبارة عن الفرح والابتهاج عندهم (٥) . وانهم هم الى اليوم متمسكون بالسنَّة القديمة

(١) طالع الملحق الاوَّل الذي في ذيل هذه الرسالة *

(٢) قلنا غالبًا لان بيعة مديولان تبتدئ الصوم الكبير من يوم الاثنين الثاني من الصوم عندنا *

(٣) هذه السنَّة سنة النهي عن الصوم يوم السبت لا نراها قديمة في البيعة الشرقية لان النساطرة الذين حفظوا اقدم عوائد البيعة الشرقية لا يوجد عندهم هذا النهي *

(٤) ان الهبذياكونية لم ترقَ الى درجة مقدسة عند اللاتين الاَّ في القرن الثاني عشر في عهد البابا انوكنتيوس الثالث *

(٥) ان اليونانيين من الشرقيين في الاسبوع الثاني قبل الصوم الكبير الذي فيه يبتدئ اللاتين بابطال هللويه يبطلون هللويه هم ايضًا لانهُ هو اسبوع ٣ المرفع عليهم

المانعة في ايّام الصوم من الاكل الاّ في الوقت الذي فيهِ يجوز الفطور اي العشآء في مدّة الاربع والعشرين ساعة وامّا الشرقيّون فياكلون في زماننا في ايّام الصوم من بعد الظهر متى ما شاءوا واي مقدارٍ شاءوا [1] . وذلك مخالف للسنّة القديمة * وانّ الاقليرسيّين والرهبان في البيعة الشرقيّة هم ملزومون ان يرخوا الحاهم . وان الكنائس الشرقيّة من سنّتها ان تبنى المذابح متّجهة نحو المشرق [2] . وان يكون للمذبح اي قدس الاقداس ثلاثة ابواب مجلّلة باستار . وان الكنائس الشرقيّة تستعمل الملعقة في القدّاس [3] . وان الغربيّين قد بطلت عندهم سنّة تناول العلمانيّين من شكل الخمر المقدّس بحكم قانونيّ . وانهم يجوز عندهم اكل البياض في ايّام الصوم كلّها الاّ قليلاً منها . وان السجود عندهم قد يكون بالركوع بركبة واحدة . وانهم يجوز عندهم ان تصير في اليوم الواحد قداديس متتابعة على مذبح واحد . وان الكنائس الشرقيّة تكلّل العروسين بالاكاليل عند عقد زيجتها . وان نصب النّسوس على الكنائس وعزلهم يجري عند الغربيّين بقواعد وقوانين

اذ ان لفظة هللويه عندهم هي علامة الحزن . ولا يبطلونها في بقية ايام السنه كلها . وكذلك بقية الطوائف الشرقية لا يبطلونها ابداً . ولكن ما يحق الذكر ان الكلدان وهم السريان الشرقيون يبطلون هللويه في يوم الجمعة العظيمة فقط *

(١) من اغرب الغرائب ان الارمن الغير الكاثليك المشهورين بتمسكهم الشديد بالصوم لا يصومون اليوم حقيقةً حتى في ايام الصوم الكبير اذ انهم يجوز عندهم ان ياكل الانسان كل يوم متى ما شآء واي مقدار شآء في اية ساعة كانت من النهار والليل *

(٢) في الكنائس الغربية ايضاً كانت قديماً السنة ان لا تبنى المذابح الاّ متجهة نحو المشرق . ولكن في العمل قد نسخت هذه السنة من تلك الكنائس منذ اجيال *

(٣) ان الكلدان وهم السريان الشرقيون لا يستعملون الملعقة في القدّاس . وكذلك الارمن لا يعرفونها * ومن ذلك نستدل على ان استعمال الملعقة في القدّاس لم يدخل في الكنائس الشرقية قبل القرن السادس * وكان الموارنة يستعملونها الى القرون المتاخرة * واما الكنائس الغربية فلم تستعمل هذا المتاع في الذبيحة الالهية ابداً *

معلومة . وان الرهبانيَّة تنعقد عندهم بثلاثة نذور صريحة . وان عندهم سنَّة التفسيح اي التحليل من اكثر الشرائع البيعية . واما الشرقيون فلا توجد هذه السنَّة في شرعهم . الى غير ذلك * واخص الفرق بين الغربيين والشرقيين هو في امر اللغة الطقسية . وذلك ان الكنيسة الغربية لها لغة واحدة بتة حيثما وُجدت وهي اللاتينية (١) . واما الكنيسة الشرقية فالطقس القسطنطيني منها يُقضى اليوم بخمس لغات وهي : اليونانية . والصقلبية . والبلاقية التي يُقال لها الرومينية . والعربية . والجرجية . و بقية الطقوس منها ما يُقضى باللغة السريانية . ومنها بالقبطية . ومنها بالارمنية . ومنها بالحبشية . واللغة العربية تدخل احياناً في الطقوس المستعملة اللغة السريانية ولا سيما طقسي الموارنة واليعاقبة وفي الطقس القبطي * فلهذه الاسباب وغيرها التي كثيرة منها هي طقسية . رُوئي من الصواب ان تميَّز البيعة الشرقية من الغربية * ولكن في هذا التمييز لم يكن المراد انهُ ليس في البيعة المسيحية الا طقسان احدهما شرقي والآخر غربي . لانهُ من المعلوم انهُ في بلاد الغرب وُجد قديماً و يوجد اليوم طقوس شتى تختلف من طقس البيعة الرومانية و يختلف بعضها من بعض . واما في بلاد الشرق فما عدا طقس الملكيين الذي يُسمَّى اليوناني لانهُ نشأ اولاً في البلاد المتكلمة باليونانية وكُتب اولاً باللغة اليونانية يوجد طقوس أُخرى ليست اقل قدراً وحرمةً من الطقس اليوناني و بعضها اقدم منهُ . وهي في افريقيا طقس القبط وطقس الحبشة . وفي اسيا طقس الكلدان وطقس السريان وطقس الموارنة وطقس الارمن * واذ ذاك فمن الواضح انهُ لا يصح ان يُقال ان

(١) قد منح قديماً من باب المسامحة لبعض الكنائس المستعملة الطقس اللاتيني ان تقضي الطقس بغير اللغة اللاتينية اي بالارمنية او الصقلبية او غيرهما . وفي ايامنا سمح البابا لاون الثالث عشر بطريرك البيعة الغربية لكنيسة انتبواري اللاتينية في الجبل الاسود ان تستعمل اللغة الصقلبية في الطقس *

البيعة المسيحيّة حاصلة على طقسين احدهما شرقيّ والآخر غربيّ . ومن ذلك يتضح بغاية التاكيد انّ الاحبار الرومانيين لمّا قسموا البيعة المسيحيّة الى شرقيّة وغربيّة لم يعنوا بذلك اختلاف الطقوس بين هذه وهذه لكن اختلاف العوائد القانونيّة او الشرعيّة . ولا حاجة الى التنبيه انّ الطقس شيء والشرع شيء آخر . فانّهُ في بلاد الغرب مثلاً تختلف بعض الكنائس من غيرها في الطقس ولكنّها كلّها يسوسها شرعٌ يعيٌّ واحد *

امّا انّ الاحبار الرومانيين ولا سيّما بندكتس الرابع عشر سمّوا البيعة الشرقيّة يونانيّة فسببهُ أوّلاً انّ أوّل كُتب البيعة المسيحيّة التي وصلت الينا كُتبت باللغة اليونانيّة في الشرق ثمّ اعقبتها الكتب المكتوبة باللغة اللاّتينية منذ اواخر القرن الثاني في الغرب * ثانياً انهُ لمّا سُميت البيعة الغربيّة برمّتها لاتينيّة لانّها مع اختلاف أممها تستعمل كلّها في الطقس لغةً واحدةً وهي اللاّتينيّة (١) اقتضى ان تميّز البيعة الشرقيّة ايضاً بجملتها باسم لغة من اللغات واذ كانت اللغة اليونانيّة هي اخت اللغة اللاّتينيّة في المنزلة العلميّة عند الافرنج سُميت البيعة الشرقيّة يونانيّة مثلما سُميت الغربيّة لاتينيّة * وايضاً فان اللغة اليونانيّة التي هي لغة احد الطقوس الشرقيّة هي اشهر في اوروبا من لغات سائر الطقوس اي السريانيّة والقبطيّة والارمنيّة والحبشية فتستحق من هذا القبيل ان تفضّل عليهنّ جميعاً * هذا ما اعتبرهُ العلماء حينما سمّوا البيعة الشرقيّة يونانيّة * والّا فلو اعتبروا القِدَم وايضاً لو اعتبروا اعداد الطقوس المستعملة لغةً واحدةً لوجب ان يسمّوا البيعة الشرقيّة سريانيّة . أوّلاً لانّ بيعة المسيح نشأت وانتشرت أوّلاً في بلاد كان اهلها سريانيّين او يتكلمون بالسريانيّة اي لان اللغة السريانيّة هي اقدم من اليونانيّة في الاستعمال الطقسي اذ بها عُمل

---

(١) وذلك ليس لانهُ وُجد في القديم شريعةٌ تأمر بان تكون كل كنائس بلاد الغرب تستعمل في الطقس اللغة اللاتينية . لكن لانهُ في تلك الازمان القديمة لم يكن في بلاد الغرب لغةٌ كتابية غير اللغة اللاتينية *

اوّل طقس في البيعة المسيحيّة كما بيّنا سابقًا . ثانيًا لانهُ اذ كانت اللغة اليونانيّة لغة طقس واحد فالسريانيّة هي اليوم لغة ثلاثة طقوس بمعزل الطقس الملباري في الهند الكثير الاهل * وعلى كل حال فليس بصحيح ان البيع الشرقيّة تسمّى يونانيّة لسبب ان الطقس الشرعيّ فيها كان في الاصل باللغة اليونانيّة . لانهُ ان صحّ ان اللغة اليونانيّة كانت يومًا مستعملة في بلاد سوريّة وفلسطين ومصر قليلاً او كثيرًا فلا يوجد احد خبير يزعم انها كانت كذلك في البلاد الشرقيّة القصوى اي في بلاد الكلدان والفُرس والهند وما يجاور هذه البلاد ولا في بلاد الارمن ولا في بلاد العَرَب ولا في بلاد الحبشة * ومما يستحقّ ان تذكرهُ لمعظّمي اللغة اليونانيّة ان هذه اللغة قد رفضها واسقطها بيعة الروم نفسها منذ اجيال فبطلت ان تكون اللغة الطقسية فيها الاّ لدى جزء يسير منها لا يكاد يكون عُشْرها *

وكذلك لا يتوهمنّ احدٌ انّ البيع الشرقيّة انّما سُمِيت يونانيّة لكونها تستعمل الفاظًا يونانيّة في طقسها . فانهُ لو صحّ ذلك لوجب ان تُسمَّى البيعة اللاتينيّة ايضًا يونانية لانها تستعمل الفاظًا يونانيّة في طقسها . ثانيًا ان كان طقس القبط وطقس السريان اليعاقبة وطقس الارمن يحوي كلٌّ منها شيئًا كثيرًا او قليلاً من الكلمات اليونانيّة الطقسيّة فالطقس الكلداني لا يحوي من الوجه الطقسي لفظةً يونانيةً فلا يستحقّ ان يسمّى يونانيًا اكثر مما لا يستحقّ الطقس اليونانيّ ان يسمّى سريانيًا لكونهِ لا يحوي لفظةً طقسيةً سريانيةً * وكذلك ليس بصحيح ان البيعة الشرقيّة انّما سُمِيت يونانيّة لكون آبائها وملافنتها كتبوا باللغة اليونانيّة مثلما آباء البيعة الغربيّة كتبوا باللاتينيّة لان كثيرًا من آباء البيعة الشرقيّة لم يكتبوا باليونانيّة لكن بالسريانيّة . ونكتفي بذكر الاقدمين منهم . ففي القرون الثلاثة الاولى مارا بن صرافيون . وططيان الاثوري وشمعون برصبّاعي اسقف المدائن . وافرهات الحكيم الفارسي . وفي القرن الرابع حسبنا افرام الرهاوي المشهور باسم افرام السرياني الذي

وحده ُ يغني عن كثيرين . وبعده ُ يستحق الذكر الخصوصي فورتّونا . و بالاي وغر يغوريوس القبرصي ورابولا الرهاوي . وماروثا الميافارقيني واسحاق الانطاكي . هولاء من الذين عاشوا قبل القرن السادس * فان كان الملافنة الشرقيون الكاتبون باليونانيّة كثيرين فليس الكاتبون منهم بالسريانيّة قليلين فلا يصحّ ان يقال بوجه الاطلاق ان معلّمي البيعة الشرقيّة كتبوا باللغة اليونانيّة * فقد ثبت اذًا ان البيعة الشرقيّة (والاحرى ان نقول البِيَع الشرقيّة) انّما سمّاها بعض الاحبار الرومانيين يونانيّة لكون اللغة اليونانيّة التي هي لغة احد طقوسها هي اشهر لغات العالم في بلاد الغرب من بعد اللاتينيّة * وان اردت فزد على ذلك سببًا آخر وهو ان البيعة القسطنطينية التي هي امُّ جميع الكنائس اليونانية كانت في الزمان الذي فيهِ قبل ذلك اوّل بيعة في بيع بلاد الشرق *

— ملحق اول : في مسالة الخمير والفطير —

اذ قد ذكرنا في ما تقدّم الفرق بين البيعة الشرقيّة والبيعة الغربيّة في امر خبز القدّاس من جهة الخمير والفطير يسوغ لنا ان نستوفي هنا البحث عن ذلك فنقول : ان البيعة الرومانيّة منذ القرن الحادي عشر الى اليوم استعملت دائمًا وفي كل مكان الفطير في خبز القدّاس ولا شكّ في ذلك * واما البِيَع الشرقيّة فالتي تستعمل اليوم الفطير منها قد اتخذت هذه السنّة اقتداء بالبيعة اللاتينيّة (1) * نعم ان بعض الافاضل في اعصارنا هذه ذهب

(1) لا نشك في ان الارمن اتخذوا سنة الفطير من البيعة الرومانية التي كانوا مرّات كثيرة يستنجدون احبارها في القرون الخالية على الروم القسطنطينيين الذين كانوا يحاولون ان يدعوهم الى ارتداد كنيستهم وكانوا كثيرًا ما يخصونهم في هذا الشان . وكان الاحبار الرومانيون يرغبون في تقرّب الارمن اليهم فيعينونهم ما امكن . ومن اشهر المعاطيات بين البيعة الرومانية والارمن ما جرى في عهد البابا غريغوريوس السابع المشهور في القرن الحادي عشر اذ ضرب الارمن على بدءِ عهد الاتحاد والطاعة مع الكرسي الرسولي الروماني * ومن هذه الاتصالات حدث ان الارمن اتخذوا شيئًا

الى ان البيعة الانطاكيّة كانت في القرون الماضية حتى في القرن الخامس نفسهِ تقدّس بالفطير . وأخصّ حجج اهل هذا المذهب ما جاء في رسالة لرابولا[١] اسقف الرها الذي عاش في القرن الخامس فيها يذمّ قوماً من الرهبان كانوا يستعملون القربان المقدّس لقوت البدن الطبيعي . وقال عنهم انهم كانوا يخمّرون تخميرًا مفرطًا[٢] خبز القدّاس «الذي هو مُمثَّل بالفطير» اي بالفطير المرسوم في العهد العتيق . فهذه الكلمات الاخيرة اتّخذت حجّة للزعم انّهُ في ذلك الزمان كانت البيعة الانطاكيّة تستعمل الفطير في القدّاس . وذلك لانهُ في النسخة الموجودة في المكتبة الواتكانيّة من هذه الرسالة بدل ܗܘ ܕܒܦܛܝܪܐ ܡܬܡܬܠ «الذي هو مُمثَّل بالفطير» يُقرَأُ اليوم ܗܘ ܕܒܦܛܝܪܐ ܡܬܐܟܠ «الذي يؤكل بالفطير» * ولكن فساد

كثيرًا من عوائد البيعة الرومانية ومن جملتها سنّة التقديس بالفطير * وكانت البيعة الرومانية في الازمان السالفة ترغب ان يتبعها الشرقيون في بعض العوائد ولاسيّما عادة الفطير هذه . فان كلدان الهند الذين يقال لهم الملباريون مثلاً لما دخلوا في طاعة البيعة الرومانية في القرن السادس عشر اتخذوا منها سنّة التقديس بالفطير وهم عليها الى اليوم * وكذلك رهبان دير قرّاتا الروميون وهو دير للروم مشهور بقرب رومية كانوا يقدسون بالفطير . ولكن منذ سنين قليلة أُمروا بالرجوع الى سنّة الخمير *

(١) ان ديونوسيوس التلمحري الذي استشهدهُ السمعاني في وجه [illegible] من المجلد الاوّل من المكتبة الشرقية حيث يورد هذه الرسالة يذكر قولا بدل رابولا *

(٢) في النص السرياني ܡܚܡܥܝܢ ܒܚܡܝܪܐ يخمرون بزيادة . والسمعاني قرأ ܒܚܡܝܪܘܬܐ بالتأخير بدل ܒܚܡܝܪܐ * واعلم ان رابولا يذم في رسالته اولئك الرهبان لانهم كانوا ايضًا يصبون ماءً سخينًا في الكاس قبل ان يشربوا منها . وحاشا ان يكون مراد رابولا بذلك ان يذمّ سنة صب قليل من الماء السخن في الكاس بعد تقديسها التي دخلت في البيعة القسطنطينة بعد ذلك العهد بنحو مئتي سنة *

هذه القرآءة ظاهر اوّلاً من ذات الامر. لان القربان لا يُؤكل بالفطير او بالخمير لكن يُتخذ من احدهما . فلا يُصدَّق انّ رابولا قال انّ القربان يؤكل بالفطير * ثانيًا انّ القرآءة الصحيحة وهي ܡܬܡܬܠܐ «مُمثَّل» بدل ܡܬܐܟܠܐ «يُؤكل» يشهد لها نُسخٌ اخرى شتّى ومن جملتها نسخة قديمة بل من اقدم كتب العالم لانها مخطوطة في القرن السادس اي بعد زمان رابولا بنحو مئة سنة فقط وهي موجودة في خزانة الكتب المشهورة بلندن تحت عدد ١٧٢٠٢ . وقد نشر بالطبع هذه الرسالة منقولةً من تلك النسخة العلاّمة الانكليزيّ يوسف Overbeck آوربك في مدينة اكسفرد في كتاب جمع فيه نخبًا من كتب مشاهير المؤلفين السريانيين القدمآء . ونجد الرسالة التي بحثنا عنها في وجه ٢٢١ من ذلك الكتاب حيث يُقرأ وجه ٢٢٢ سطر ١٢ ܦܓܪܗ ܕܡܫܝܚܐ ܕܒܦܛܝܪܐ ܡܬܡܬܠܐ «جسد المسيح المُمثّل بالفطير» وهذا التحريف سَهْل وقوعهُ لسبب المشابهة الخطيّة التي بين ܡܬܡܬܠܐ و ܡܬܐܟܠܐ * ونحن نعلم بالتاكيد انهُ قبل عهد هذه الرسالة بكثير اي في القرن الرابع كانت سنّة الخمير في خبز القدّاس جاريةً في البطريركيّة الانطاكيّة كما يظهر من موّلفات مار افرام . من ذلك ما قالهُ في مدراش الدنح المشهور الذي على وزن ܐܘܕܝ ܚܡܝܪܐ ܠܚܡܝܪܐ ܕܫܪܪܐ ܗܘ ܡܫܝܚܐ ܬܡܢܥܣܪܐ ܒܫܢܝܢ ܦܘܩܕܢܐ «في سنة ثماني عشرة يشكر خميرا لخمير الحقّ» . وفي البيت الذي بعده يُذكر هذا الملفان الملح الذي كان من عادة البيعة الانطاكيّة انّ تدوف بهِ خبز القربان * وفي البيت الذي اوّلهُ ܡܪܝ ܒܟ ܡܣܬܟܠ وهو على وزن ܦܪܘܫܐ يقول على لسان المسيح لآدم اذ وعدهُ بالخلاص وبالقيامة هو واولادهُ :

ܚܡܝܪܐ ܕܣܡ ܚܝܐ ܒܦܘܡܟ ܠܡܕܡܟ
ܒܝܘܡ ܢܘܚܡܐ ܟܕ ܙܡܪܐ ܫܘܒܚܐ «سأخزن في فمك خمير دواء الحيوة لتنوم في يوم البعث وانت مترنم بالتسبيح» * ولنا شاهد آخر جليل على ان البيعة الانطاكية كانت تقدّس بالخمير في القرن الرابع وهو ايفانيوس القدّيس اسقف جزيرة قبرص التي كانت ملحقة بالبطريركية الانطاكية فان هذا الملفان ذكر في كتاب الهرطقات ان شيعة من الهراطقة يقال لهم الايبونيون ارادوا ان يتشبّهوا بالبيعة المسيحيّة في قربانها فصاروا يقرّبون خبزًا فطيرًا وماء قراحًا * وكلّ انسان خالي الغرض يقرّ انهُ لو كان الفطير مستعملاً في ذلك الزمان في البيعة الانطاكية لما خصّص ايفانيوس خبز الايبونيين بكونهِ فطيرًا كما ان سائر الكتّاب عندما يذكرون مادّة القدّاس لا يقولون الا خبزًا وخمرًا * فاذًا تخصيص ايفانيوس خبز الايبونيين بكونهِ فطيرا انما هو لان المسيحيّين لم يكونوا يقدّسون بالفطير كما انهم لم يكونوا يقدّسون بالماء القراح * ولا يظن ظانّ ان البيعة الرومانية كانت تستعمل خبز الفطير في القدّاس في الازمان القديمة . فان العلماء المحقّقين (ومن جملتهم الكردنال بونا في كتابهِ الذي عنوانهُ الليترجيّة) اثبتوا ان الكنائس الغربيّة لم تكن تستعمل الفطير في القدّاس قبل القرن العاشر الذي بعدهُ بنحو مئة سنة شبّت نار الشقاق في البطريركيّة القسطنطينيّة فحاولت الانفصال من البيعة الرومانيّة * وعندنا شهادة جليلة على ان الكنائس السريانيّة كانت تستعمل الخمير في القدّاس بنوع رسميّ في مبادئ القرن العاشر نفسهِ اي قبل ان انتشبت المجادلة بين الروم واللاتين في امر خبز القدّاس بنحو مئة سنة وذلك من مجمع عقدهُ يوحنّا بن عيسى الملقّب بالاعرج بطريرك السريان الشرقيّين مع اساقفتهِ حيث رسموا في القانون الثاني عشر والقانون الثالث عشر ان

لا يختمر خبز القدّاس بخمير العادة لكن بخمير خصوصي مبارك محفوظ في البيعة ❊

غير أننا لا ننكر انّ السريان لم يكونوا متمسكين بسنّة الخمير تمسكًا شديدًا كتمسُّك الروم بهِ . فأننا نرى اساقفتهم وعلماءهم (ومن جملتهم يوحنا اسقف ماردين الذي توفي سنة ١١٦٥) اذ جادلوا في القرن الثاني عشر الارمن الذين كانوا يستعملون الفطير في القدّاس لم يعارضوهم في هذه العادة بل انّ يوحنّا اسقف ماردين المذكور أقرّ في احدى رسائلهِ انّ البيعة الرومانيّة التي تعلّمت الديانة المسيحيّة من الرسولين بطرس و بولس لا تُلام على استعمالها الفطير في القدّاس❊ ومثل ذلك تقريبًا كتب بطريرك النساطرة طيمثاوس الثاني الذي اشتهر في مبادئ القرن الرابع عشر❊ وممّا يستحقّ الاعتبار من جهة الكنائس الشرقيّة انّ ابن العبريّ إمام السريان اليعاقبة المشهور الذي عاش في القرن الثالث عشر اي بعد ظهور مسالة الخمير والفطير بنحو مئتي سنة لمّا تكلّم في كتاب الهداية الذي هو كتاب شرع بيعة اليعاقبة عن القدّاس وسائر ما يتعلّق بهِ لم يذكر انّ خبزهُ يجب ان يكون مختمرًا ❊ بل انّ ميخائيل قرولاريوس نفسهُ الذي في القرن الحادي عشر اثار في البيعة الشقاق الشهير المحزن بحجّة انّ البيعة الرومانيّة كانت تستعمل الفطير في القدّاس تشكّى في رسالتهِ الى بطريرك انطاكيّة الملكيّ من انّ بطريرك الاسكندرية و بطريرك اورشليم الملكيّين كانا يحتملان استعمال الفطير في القدّاس في كنائسهما بل كانا هما بنفسهما يستعملانهِ احيانًا❊ وممّا يستحقّ الذكر انّ المؤلّفين السريانيّين يتفقون في القول بأنّ المسيح قضى العشاء الاخير على الفطير . ومنهم من يقول صريحًا بأنّ المسيح قدّس سرّ جسدهِ على الفطير . منهم مار افرام ملفان البيعة السريانيّة ❊

ومن هذا الشرح يتضح انّ الأئمة القدماء والكتّاب البيعيّين عندما يذكرون في كتبهم انّ المسيح قدّس سرّ جسدهِ بالفطير لا يريدون بذلك

انّ من الواجب ان يكون خبز القدّاس فطيراً وانهُ في زمانهم كان خبز الفطير سنّةً في بيعتهم . فانّنا نشاهد مثلاً مار افرام يقول صريحًا في اماكن من مؤلَّفاتهِ انّ المسيح اعطى سرّ جسدهِ بالفطير كما ذكرنا الساعة . ومع ذلك فقد رأينا انهُ ذكر صريحًا ايضًا الخمير الذي كانت تستعملهُ بيعتهُ في القدّاس * وكذلك صاحب كتاب الهُدَى وهو كتاب شرع البيعة المارونيّة القديم اذ ذكر انّ المسيح قدّس بالفطير شهد في مكانٍ آخر انّ بيعتهُ كانت تقدّس بالخمير * وذلك ان الأيمة البيعيين اعتبروا مسالة الفطير كسائر الاحوال التي فيها قدّس المسيح سرّ الاوخرستيّا . فانّ المسيح قدّس هذا السرّ مساءً وبعد أكل خروف الفصح ولم يكن تلاميذهُ الذين ناولهم هذا السرّ على الريق ولم يقضِ عند تقديسهِ شيئًا من الشعائر الخارجة . ومع ذلك فليس بواجب في البيعة المسيحيّة ان يُقدّس القدّاس مساءً ولا بعد اكل خروف الفصح بل لا يجوز اكل هذا الخروف على الاطلاق ولا يجوز تقديس القربان وتناولهُ الّا على الريق وبما ينبغي من الشعائر من ملابس خصوصيّة وشماع مضيئة وخدمة وغير ذلك * وعلى هذا يعتبر الفضلاء انهُ ان كان المسيح قد قدّس على الفطير لانهُ لم يكن حينئذٍ تحت يدهِ خبز آخر فلا يستلزم ذلك ان يكون خبز القدّاس فطيراً من باب الوجوب *

ولا عبرة باليعاقبة المحدثين حيث لخوفهم من ان يقوم اعتراض على سنّة الخمير من تقديس المسيح سرّ جسدهِ بالفطير وضعوا في كلام التقديس في بعض نافوراتهم اي ليترجيّات القدّاس المؤلّفة حديثًا عندهم ومن جملتها النافورة المنسوبة الى هرما الراعي الذي عاش في القرن الاوّل والنافورة المنسوبة الى ماروثا التكريتيّ الذي هو اوّل مفريان قام عند اليعاقبة وعاش في القرن السابع . أنّ المسيح اخذ خبزاً مختمراً لمّا رسم سرّ الاوخرستيّا * ولا عبرة ايضًا بالمؤلّفين اليعقوبيين الذين عاشوا بعد اشتهار مسألة الخمير والفطير اذ هذوا بانّ المسيح لمّا قدّس سرّ جسدهِ اخذ خبزاً

فطيراً فوضعهُ على جسمهِ المقدّس فاختمر *

ملحق ثانٍ: في الكلمات اليونانيّة الطقسية التي توجد في الطقوس الشرقيّة والغربيّة

اذ قد تكلمنا في ما تقدَّم شرحهُ عن الكلمات اليونانيّة المستعملة في الطقوس استعمالاً طقسياً نرى ان نستقصي هذا البحث بشيء من التفصيل في هذا الملحق الثاني * فنقول على وجه العموم انّ ممّا يستحقّ الاعتبار في تواريخ طقوس البيعة المسيحيّة وجود عبارات يونانيّة طقسيّة الى يومنا هذا في الطقوس الشرقيّة والغربيّة كلّها الّا واحداً. فانّ العبارات اليونانيّة الطقسيّة توجد في الطقوس القبطي والحبشي والسرياني والارمني والماروني واللاتيني الّا الطقس الكلداني وهو طقس السريان الشرقيين فليس فيهِ ادنى عبارة يونانيّة طقسيّة بتةً * واذ انّ هذا الطقس الكلداني انفصل من بقيّة طقوس العالم منذ القرن الخامس يحقّ لنا ان نستنتج من ذلك بكلّ الامان ان دخول العبارات اليونانيّة في بقيّة طقوس المسيحيين لم يحدث الّا بعد القرن الخامس * امّا السبب الذي من اجلهِ دخلت هذه العبارات الغريبة في الطقوس فنقرّ انّهُ سرّ مكنون من الاسرار التاريخيّة لا نعرفهُ ولا نتجاسر ان نُبدي فيهِ رأياً . ولا نظنّ انّ احداً من العلماء الباحثين امكنهُ الى اليوم ان يطّلع على كنه هذا الامر الغريب * وعلى كلّ حال فقد توهّم من زعم انّهُ من وجود هذه العبارات اليونانيّة في الطقوس تقوم البيّنة على انّ اصل الطقوس في الكنيسة المسيحيّة هو يوناني * لأنّنا نعلم من التاريخ انّ العبارات اليونانية لم تدخل في الطقس اللاتيني مثلاً الّا في نحو القرن السادس كما سنرى عمّا قليل . وكذلك يغلب على اعتقادنا انها لم تدخل في طقس الموارنة الّا حينما اشتركوا مع بقيّة السريان الغربيين في ليترجيّة مار يعقوب المتّخذة من البيعة الاورشليميّة . ولا في طقس هؤلاء السريان الّا حينما اتخذوا هذه الليترجيّة . وامّا السريان الشرقيون فاذ لم يقبلوا هذه الليترجيّة

لم يدخل قطّ في طقسهم عبارة يونانيّة طقسيّة كما قلنا * ثمّ أليس في جميع الطقوس توجد عبارات طقسيّة عبرانيّة . نحو هللويه وآمين واوشعنا . ومع ذلك فلم يخطر قطّ على بال احد ان يتصوّر بانّ اصل الطقوس هو عبرانيّ * فمن المحتمل ان الائمّة الذين ادخلوا العبارات اليونانيّة في الطقس اعتبروا انّه مثلما العهد القديم تشير اليهِ الالفاظ العبرانيّة المستعملة في طقس المسيحيّين كذلك يليق ان يوجد في الطقس ألفاظ يونانيّة تشير الى العهد الجديد الذي لم يشتهر اوّلاً الاّ بهذه اللغة * ثم انهُ لو انّ الطقس كان في الاصل يونانيًّا لانهم لماذا تُرجم كلّهُ باللغات الطقسيّة وأُبقيت منهُ على الاصل اليونانيّ عبارة او عبارتان فقط . وما هو اعجب من ذلك انّ هذه العبارة وهاتين العبارتين لاتستوي في جميع الطقوس . فالاقرب الى التصديق انّهُ بعد ان كُتبت كتب الطقس في اللغات المختلفة البيعيّة حدث في نحو القرن السادس امرٌ ما اقتضى ان تُدْرَج عبارات يونانيّة واحدة او اكثر في مواضع معلومة من الطقس في جميع الكنائس المتّفق بعضها مع بعض في المعتقد في العالم كلّهِ *

امّا العبارات اليونانيّة التي كلامنا عنها فاشهرها كيريا اليسون (اي يارب ارحم) . والسريان يقولون بحسب اصطلاحهم اللغويّ قوريا ܩܘܪܝܐ بدل كيريا وهو اقرب الى اللفظ القديم * وهذه الكلمة اليونانيّة لم تدخل في طقس البيعة الرومانيّة الاّ في نحو الزمان الذي فيهِ جلس البابا غريغوريوس الكبير على كرسيّ رومية اي في نحو اواسط القرن السادس ونعلم من احدى رسائل هذا البابا (وهي رسالة ٦٤ من الكتاب السابع من رسائلهِ) انّ بعض الاساقفة في ايطاليا ادركوا عليهِ دخول هذه العبارة اليونانيّة في الطقس كانّهُ تشبّه باليونانيّين . فاجابهم البابا بان البيعة الرومانيّة لا تقول كيريااليسون فقط كما يقول اليونانيّون لكن تزيد على

ذلك خرِسْنا البِسون (اي يامسيح ارحم) ٭ وهذه العبارة اليونانيّة الثانية لا توجد بصورة طقسيّة الاّ في طقس البيعة الرومانيّة. ومن ذلك يتضح باليقين انّ سبب وجود العبارات اليونانيّة الطقسيّة في الليترجيات ليس هو انّ الليترجيّة الاصليّة كانت يونانيّة كما زعم القوم الذين تقدّمت الاشارة اليهم. ولا سيما لانّ كلمة كيريا اليسون توجد ايضًا في بقيّة الصلوات البيعيّة ما عدا الليترجيّة. و بقيّة الصلوات البيعيّة تختلف اختلافًا عظيمًا من طقس الى طقس فلا يحتمل البتّة انها صادرة من اصل واحد الاّ جزءًا يسيرًا طفيفًا جدًّا منها ٭

وعند اللاّتين عبارة اخرى يونانيّة طقسيّة وهي التريساجيون اي قدّوس الله قدّوس القويّ الخ. يقولونهُ مرّةً واحدةً في السنة اي في يوم الجمعة العظيمة في طقس سجدة الصليب. و يقولونهُ اوّلاً في اليونانيّة ثمّ في اللاّتينيّة ٭ وهذه العادة ليست قديمة في البيعة الرومانيّة. وليس في بيعةٍ أُخرى غير يونانيّة عادةٌ ان يُقال التريساجيون في اللغة اليونانيّة. بل انّ كلّ البِيَع تقولهُ كلٌّ منها في لغتها الخصوصيّة فقط الاّ القبط فانّهم يقولونهُ باليونانيّة ٭ ذكر المؤرّخون انّ التريساجيون دخل في كنيسة المسيح اوّلاً في القسطنطينيّة في زمان البطريرك برُقْلس في اواسط القرن الخامس. ومن ذلك الحين صارت الكنائس الشرقيّة كلّها تتلوهُ في طقوسها حتى الشيعة النسطوريّة التي كانت من قريبٍ قد انفصلت [1] ٭ وامّا البيعة اللاّتينيّة فلا تتلوهُ الاّ مرّةً في السنة كما قلنا ٭ واعلم انّ البابا الرومانيّ بطريرك البيعة اللاّتينيّة حينما يقدّس القدّاس الحبريّ في عيد القيامة وعيد الميلاد وعيد الرسولين بطرس و بولس يُقرأُ الانجيل اوّلاً في اللغة اليونانيّة ثمّ

---

(١) من غرائب الامور ان السريان اليعاقبة والموارنة يزيدون ضمير المخاطب في قدوس الله قدوس القوي الخ فيقولون قدوس انت يا الله قدوس انت ياقوي الخ. بخلاف سائر طقوس العالم ٭

في اللاتينيَّة * وكفى بذلك في ما يخص الالفاظ اليونانيَّة الطقسيَّة التي في طقس اللاتين *

واما السريان الغربيون فالموارنة منهم ليس عندهم في طقسهم من الالفاظ اليونانيَّة الطقسيَّة الا كيريا اليسون . وقد ذكرنا ان الراجح ان هذه الكلمة دخلت عندهم مع ليترجيَّة مار يعقوب التي اضافوها الى ليترجيتهم القديمة التي هي على ما نظن اوَّل ليترجيَّة استعملتها البيعة الانطاكيَّة السريانيَّة ووصلت الينا . والمراد بها النافورة التي في اوَّل طبعة من كتاب القدَّاس للموارنة سُمّيت نافورة مار بطرس * واما اليعاقبة من السريان الغربيّين فما عدا كيريا اليسون عندهم في طقسهم عبارتان طقسيَّتان يونانيَّتان أُخريان وهما ܣܛܘܡܢ ܟܠܘܣ (لنقف حسنًا) وܣܘܦܝܐ ܐܘܪܬܗܝ (لنصغِ بحكمة الله) دخلتا في الطقس مع ليترجيَّة مار يعقوب الرسول التي أنسنهم ليترجيَّة البيعة الانطاكيَّة القديمة الباقية عند الكلدان والموارنة * والثانية من هاتين العبارتين لا تزال الآمرة في القدَّاس * بقي من السريان الغربيّين الملكيّون . هؤلاء بعدما اتخذوا في القرن التاسع او بعده الطقس القسطنطيني الذي هو في الاصل يوناني استخرجوه الى اللغة السريانيَّة . ولا عجب انهم ابقوا فيه عبارات طقسيَّة كثيرة باللفظ اليوناني * وسلك هذا المسلك سائر الجماعات الذين اتخذوا الطقس القسطنطيني شرقًا وغربًا واستخرجوه الى لغاتهم الخصوصيَّة . ومن جملتهم الملكيّون في زماننا الذين يستعملون الطقس في العربيَّة في الشام ومصر وفلسطين * وكذلك فعل القبط في برّ مصر . فان طقسهم هو في الاصل يوناني اذ كان هو طقس البيعة الاسكندريَّة التي كانت مدينة يونانية بلا شكّ . فلما استخرجوه الى اللغة المصريَّة التي يُقال لها القبطيَّة ابقوا فيه عبارات كثيرة برمّتها كما هي في الاصل اليوناني مثلما ان اللغة القبطيَّة نفسها

هي مشحونة بألفاظ يونانيَّة * وأمَّا طقس البيعة الحبشيَّة فمع كونهِ منقولاً عن طقس القبط المشحون بالكلمات اليونانيَّة فلا يوجد فيهِ من الالفاظ اليونانيَّة الطقسية على الظن [1] الاَّ كيريا اليسون * وأمَّا طقس الارمن فيحوي عبارتين طقسيَّتين يونانيَّتين . ولكن ليس فيهِ كلمة كيريا اليسون . وذلك من الغرائب . امَّا العبارتان اليونانيَّتان اللتان يحويهما طقس الارمن فهما لفظة : برسخومن (لنصغِ) ولفظة أرثي (لننتصب) . تُقالان في القدَّاس قبل الانجيل * وهنا لنا ان نعتبر انَّ الكلمات اليونانيَّة التي تُقال في الطقس لدى اليعاقبة والموارنة والارمن ليس فيها كلمة مَّا يقولهُ الكاهن . لكن كلّها يقولها الشمَّاس او الجماعة . وذلك لا يخلو من سرٍّ *

فيا للعجب العجاب كيف انَّ ألسنة الامم المسيحيَّة بأجمعها في العالم كلّهِ الاَّ أمَّةً واحدةً تنطق كلَّ يوم في اعظم واجلّ عبادة تقدّمها لله تعالى بألفاظ مستعارة من اللغة اليونانيَّة . ولا يعلمَ احدٌ من البشر السرّ المكنون الذي جعل ان تكون كلمات هذه اللغة لازمة في طقوس كل الامم *

وعند الختام نهنئُ الأمَّة اليونانيَّة بانَّها مع كونها من اصغر امم العالم لم يكفِها فخرًا ومجدًا ما ابدعت بهِ في الاعصار الخوالي وفاقت من كلّ وجه على سائر الامم القديمة المعاصرة لها . لكن لمَّا ظهرت البيعة المسيحيَّة ونشأت على الارض امتزجت بها لغة هذه الامَّة بعد قليل من الزمان امتزاجًا قويًّا

---

(1) لم يمكني ان احقق ذلك تحقيقًا اكيدًا على متن الليترجية الحبشية نفسها لاني لم يقع بيدي الاَّ الترجمة اللاتينية التي عملها لهذه الليترجية العلاَّمة الشهير رنودوت الفرنساوي ومنها لا يُعلم الامر الذي كلامنا عنهُ باليقين * واما في غير ليترجية القدَّاس فالغالب على ظني ان طقس الحبشة لا يحوي الفاظًا يونانية طقسية بتةً كما يظهر من طقس عماد الذبح (وهو طقس خصوصي للحبشة) شهرهُ بالطبع عام اوَّل احد طلبة العلوم الشرقية في جرمانيا بمتنهِ الحبشي وترجمتهِ الجرمانية . مع ان اللغة الحبشية الكتابية لا تخلو من الفاظ مستعارة من اللغة اليونانية لكنها قليلة *

حتى انّ اكثر الكتب القدسيّة والابويّة التي كُتبت في هذه البيعة لم تظهر اوّلاً ولم تشعْ الاّ باللغة اليونانيّة ولا يوجد اليوم طائفة من الطوائف المسيحيّة المبثوثة في الدنيا كلها الا وتنطق في شعائرها الدينيّة بشيء من الكلمات اليونانيّة الاّ طائفةً واحدة كما لا يوجد لغة من جميع لغات الامم المتمدّنة قليلاً او كثيراً الاّ وتحلّت واغتنت بدرر الالفاظ المستعارة من هذه اللغة الشريفة السعيدة ❊

تمّ

تذييل لكتاب القصارى

شرح لوجه ١٠ سطر ١٤

من البحث كلّهِ الذي بِهِ ثبت انّ اهل فلسطين في زمان المسيح لم يكونوا يتكلمون باليونانيَّة ولا بالعبرانيَّة لكن بالسريانيَّة يتَّضح جليًّا انّ يسوع المسيح ورسلهُ لم يكونوا يستعملون اسفار الكتاب المقدَّس اعني العهد القديم باليونانيَّة * يعلم كلّ احدٍ أنّ أسفار العهد القديم نُقلت من اللغة العبرانيَّة الى اليونانيَّة في مدينة الاسكندريَّة في عهد بطلميوس فيلدلفس الملك في اواخر القرن الثالث قبل المسيح . ومنذ ذلك الحين صارت هذه الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينيَّة دارجةً ومستعملةً في تلكِ المدينة عند اليهود الذين كانوا الوفًا كثيرة وكانوا يتكلمون باليونانيَّة ولذلك يقال لهم هلّنستيّون . ومن بلاد مصر اجتازت هذه الترجمة الى بقيَّة البلاد التي كان اليهود متفرّقين فيها وكانوا يتكلمون باليونانيَّة * وأمَّا في اورشليم وسائر فلسطين فلا ريب انّ اليهود لم تدخل عندهم في الاستعمال هذه الترجمة اليونانيَّة بل بقوا متمسّكين بالتوراة[1] العبرانيَّة الاصليَّة سوى الجماعة الغريبة التي كانت باورشليم والتي كانت في الاصل قد اتت من بلاد يونانيَّة وتُسمَّى لذلك جماعة الهلّنستيّين (طالع قصص الرسل ٦ : ١ و ٩ : ٢٩) * ويشهد لنا كتاب التلموذ انَّهُ كان في مدينة قيسريَّة جماعة معتبرة من اليهود الهلّنستيّين تستعمل في كنائسها الترجمة اليونانيّة السبعينيَّة * واذ انّ الرسل لم يكن احد منهم من جماعة الهلّنستيّين فمن الواجب ان نقول انّ يسوع ورسلهُ لم يكونوا يستعملون الكتاب المقدَّس باللسان اليوناني لكن باللسان العبراني

(١) اننا نستعمل هنا لفظة التوراة بمعنى الكتاب المقدَّس كلهِ كما تستعملها العامة من باب الايجاز *

ولا نقول باللسان السرياني لانهُ لا يُعلَم أنهُ كان في زمان المسيح عند اليهود ترجوم اي نسخة سريانية للكتاب المقدس مترجمة من العبرانية * ومن يصدّق مثلاً ان يسوع لما دخل الهيكل وحاور العلماء وهو ابن اثنتي عشرة سنة (لوقا ٢ : ٤٦) جرت المحاورة بينهُ وبينهم على كتب يونانية لا على العبرانية * فليس بصحيح ما يقولهُ بعض المؤلفين من دون التبصر الكافي وهو ان يسوع المسيح قدّس ترجمة الكتاب المقدّس اليونانية التي يقال لها السبعينية باستعمالهِ اياها *

لكن هنا يقوم اعتراض قوي على ما قلناه الى الآن يظهر انهُ لا مردّ عليهِ . وهو ان آيات العهد القديم الموردة في اسفار العهد الجديد كثيرًا ما توافق نص الترجمة السبعينية بخلاف العبراني . والمعلوم ان اسفار العهد الجديد معظمها يتضمن اقوال يسوع ورسلهِ . فما ينتج من ذلك ان يسوع ورسلهُ كانوا يستعملون للكتاب المقدس الترجمة اليونانية السبعينية * ولكن نجيب ان الامر ليس كما يقتضيه ظاهر الحال وانهُ لا سبيل الى الاستنتاج مما ذُكر ان المسيح ورسلهُ في اورشليم وفي سائر فلسطين كانوا يقرأُون الكتاب المقدس بالنسخة السبعينية اليونانية * وذلك لان الزمان لم يحفظ لنا أسفار العهد الجديد الاَّ بالحرف اليوناني . فلا عجب ان الذين أَلَّفوا هذه الاسفار او ترجموها لما اوردوا آيات العهد القديم اوردوها على نص الترجمة اليونانية التي كانت في ايدي كل الذين كانوا يتكلمون باللسان اليوناني * ولتفصيل ذلك نقول ان مؤلفي اسفار العهد الجديد هم ثمانية . ونذكرهم هنا بموجب كبر كتبهم وهم بولس ولوقا و يوحنا ومتى ومرقس و بطرس و يعقوب و يهوذا . فمن هؤلاء واحد كان أُمميًا اصلاً وهو لوقا . والباقون كلهم يهوديون . اثنان منهم من الهلنستيين وهما بولس ومرقس . والخمسة الآخرون عبرانيون اصلاً ولغةً وهم يوحنا ومتى و بطرس و يعقوب و يهوذا * اما ان الامميين والهلنستيين من هؤلاء المؤلفين القدسيين استشهدوا آيات العهد القديم

بنصّ الترجمة السبعينيّة فلا عجب في ذلك . فانهم كانوا معتادين قراءة هذه الترجمة ثم والذين من اجلهم كتبوا فلم يروا ان يحيدوا عن نصّها الّا نادراً ‡ واما الباقون فيوحنّا منهم لم يكتب ما كتب الّا اذ كان في بلاد يونانيّة (بلاد افسس) وقد اقام فيها نحو خمسين سنة فلا عجب ان عبارة شهاداته المورَدة من العهد القديم تغلب فيها رائحة نصّ الترجمة السبعينيّة ‡ واما بطرس ويعقوب فاذ قد وجّها رسائلهما الى العبرانيّين المشتّتين في البلاد اي الهلّنستيّين (يعقوب ١ : ١ و ١ بطرس ١ : ١) فاقتضى ان ياتيا بآيات العهد القديم بالنصّ اليونانيّ المألوف لدى اولئك الاقوام وهو نصّ الترجمة السبعينيّة . وذلك امّا من نطقهما ان كانا قد كتبا في الاصل باليونانيّة وامّا من تحرير مترجمهما ان كانا قد كتبا في اللغة العبرانيّة او الكلدانيّة كما هو محتمل ‡ واما يهوذا فلقصر رسالته يخرج عن مجال البحث ‡ بقي من الكتّاب القدسيّين للعهد الجديد متّى الانجيليّ . وهذا هو شاهد جليل للحقيقة التي نحن في صددها . اي انّ اسفار العهد الجديد الموجودة اليوم لا تحوي دائمًا اقوال المسيح بنصّها نفسه لكن احيانًا بعبارة يونانيّة خارجية أُخذت من الترجمة السبعينيّة ‡ وذلك انّ متّى كتب انجيله لا باليونانيّة لكن بالعبرانيّة . يشهد بذلك كل الائمّة القدماء وحققة العلماء المتأخرون قاطبةً الّا نفرًا يسيرًا منهم لا يُعتَدّ بهم . فيسوغ لنا ان نحكم بكلّ اليقين والتاكيد انّ آيات العهد القديم التي استشهدها متّى الانجيلي لمّا كتب انجيله لم يوردها هو على نصّ الترجمة السبعينيّة لكن على نصّ الاصل العبرانيّ ‡ والحال انّ انجيل متّى اليونانيّ الذي في يدنا اليوم (والذي اصله العبرانيّ او السريانيّ قد فقد) كثيرًا ما يحوي آيات العهد القديم مطبّقةً على نصّ الترجمة السبعينيّة . فيتّضح ممّا تقدّم انّ هذا التطبيق ليس هو من المؤلف الذي كتب بالعبرانيّ او بالسريانيّ لكن من المترجم الذي كتب باليونانيّ فحمله الحال على ان يعبّر احيانًا عن آيات العهد القديم المستشهدة بعبارة

الترجمة اليونانيّة المألوفة *

ولنا برهان واضح جليّ على انّ المترجمين اليونانيّين كان من عادتهم ان يطبّقوا عبارة الآيات الكتابيّة على نصّ الترجمة السبعينيّة . وهو بما جاء في انجيل لوقا ٤ : ١٦ وما بعدهُ حيث يُقال انّ يسوع لمّا كان في الناصرة دخل الى مجمع اليهود فقرأ في سفر اشعياء ما هو مكتوب فيهِ ٦١ : ١ وما بعدهُ : روح الربّ عليّ الخ . فهذه الكلمات في نصّ الانجيليّ هي على نصّ الترجمة السبعينية مع الزيادة والنقصان اللذين فيها عن النص العبرانيّ .

ومن جهة اخرى لا يمكن ان يكون يسوع قد قرأ سفر اشعيا في مجمع الناصرة في الترجمة السبعينيّة . لانّ العقل لا يقبل ان اليهود في الناصرة كانوا في كنيستهم يستعملون اللغة اليونانيّة . فاذًا يجب ان نحكم انّ وجود العبارات الموافقة للترجمة السبعينيّة في الانجيل انّما هو من المترجم لا من القائل * ونتحقّق من مواضع اخرى من الاناجيل انّ مترجميها اليونانيّين كانوا يزيدون احيانًا شيئًا على النصّ الاصليّ لإيضاحهِ . طالع مثلاً متى ١ : ٢٣ و ٢٧ : ٤٦ *

فنستنتج من كلّ هذا البحث بكلّ التاكيد انّ اتّفاق نصّ آيات العهد العتيق في فم ربنا يسوع مع نصّ الترجمة السبعينيّة ليس دليلاً على انّ يسوع استعمل هذه الترجمة اليونانيّة في قراءتهِ وكلامهِ *

ومع ذلك فلا ننكر انّ الترجمة السبعينيّة التي كانت في الاوّل خاصّة اليهود الهلّنستيّين وعلى الخصوص في بلاد مصر وسائر افريقية استقبلتها البيعة المسيحيّة منذ ظهورها في فلسطين وسوريّة وانزلتها لديها منزلة كريمة ورفعت شأنها حتى كادت تنسي الاصل العبرانيّ حينًا من الدهر . واوّل امّة مسيحيّة احبت اسم الكتاب المقدّس العبرانيّ واعطتهُ حقّهُ هي الامّة السريانية اذ استخرجت الكتاب المقدّس الى لغتها منذ القرن الاوّل او مبادئ القرن الثاني على الاصل العبرانيّ وصارت تستعمل في كنائسها

واديرتها و بيوتها الى يومنا هذا هذه الترجمة السريانيَّة التي من بين جميع الترجمات الكتابيَّة التي نشأت في البيعة المسيحيَّة (ماعدا ترجمة هيرونمس اللاتينيَّة المتأخّرة) هي وحدها لم تعمل على الترجمة السبعينيَّة لكن على الاصل العبرانيّ وذلك قبل ان نهض هيرونمس هذا وقبلهُ اوسابيوس وقبلهُ اوريجنيس في القرن الثالث والرابع واشتغلوا بدرس التوراة العبرانية والاكباب عليها و بردّها الى المنزلة والكرامة التي تستحقّها *

وها هنا لا يمكنني ان امسك نفسي عن التعجُّب اذ اتأمَّل في ما أصاب اللغة العبرانيَّة من الحظّ الغريب في بيعة المسيح . وذلك انّ اليهود لمّا تنصّروا (وهم كانوا اوّل جماعة مسيحيَّة) لا نرى انهم في مكان من الاماكن اخذوا التوراة العبرانيَّة وادخلوها معهم في البيعة المسيحيَّة . بل نرى انهم تركوها وراءهم عند الموسويّين حتّى صارت هذه التوراة الاصليَّة كأنّها غريبة عن الديانة المسيحيَّة . وما هو اعجب من ذلك انهُ لمّا كان جانب عظيم من المسيحيّين الاوّلين اصلهم من اليهود لم يخطر ببال احد ان يُعطَى اولئك المسيحيّون العهد الجديد المشهور باليونانيَّة مترجمًا بلغتهم * امّا أنّ اللغة العبرانيَّة لم تحسبها البيعة المسيحيَّة اهلاً ان تجعلها من جملة لغاتها الطقسيَّة كاليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة فلا عجب في ذلك اذ لم يكن في الاوّل للبيعة عادة ان تجعل طقسيَّة الاّ اللغات الدارجة المستعملة في الكلام . والمعلوم انّ اللغة العبرانيَّة كانت قد بطلت من الاستعمال قبل ظهور المسيح باكثر من خمس مئة سنة اذ اخذت السريانيَّة مكانها * فبالسوء حظّ هذه اللغة المحترمة التي بها كلّم الله نجيَّهُ موسى وسائر الآباء والانبياء وبها نزل اوّل وحي مكتوب لبني البشر * لقد عوقبت بذنب اصحابها * ولكن يبقى العقل حائرًا لماذا لم يحفظ المسيحيون الاوّلون الذين اصلهم من اليهود العهد الجديد بلغتهم الدارجة في ذلك الزمان وهي الكلدانيَّة مثلما حفظهُ المسيحيّون الذين من الامم كالسريان واللاتين . العلّ ذلك حدث لقلّتهم بالنسبة

الى الامم . الله اعلم * وان كانوا لم يعطوهُ الّا في الاعصار المتأخّرة فلماذا لم يعطيهُ قبلاً : انّ كلامنا هو عن الاسفار التي هي يونانيّة الاصل بالتاكيد * واغرب من كل ذلك انّهم لم يحفظوا أسفار العهد القديم الكلدانيّة الاصل المفقودة *

شرح لوجه ١٨ سطر ٨

انّ علماء العرب الذين فاقوا على الامم القديمة حتى اليونانيّة واللاتينيّة في درس لغتهم وضبطها والتفتيش على اصولها وفروعها لم يهملوا البحث عن باب الالفاظ الاعجميّة الموجودة في اللغة العربيّة ومن جملتها الألفاظ السريانيّة . ومنذ اوّل امرهم قام فيهم ادباء ماهرون تفرّغوا لهذا الباب وألّفوا فيهِ الكتب . منهم ابن قتيبة في كتاب ادب الكاتب والسيوطيّ في الاتقان (وهو خصّص بحثهُ للالفاظ المعرّبة الموجودة في القرآن) . وتعرّض الثعالبيّ للالفاظ الفارسيّة خاصّةً في كتاب فقه اللغة . والذى توسّع في هذا الباب اكثر من كلّ الذين سبقوهُ هو الجواليقيّ في كتاب المعرّب * وبعد الفراغ من تبييض هذه الرسالة ودفعها الى المطبعة عثرنا على كتاب ألّفهُ عام اوّل في بلاد جرمانيا بالجرمانيّة احد العلماء البارعين بعلم اللغات الساميّة اسمهُ فرنكل في الالفاظ التي اتّخذها العرب من السريان ودقّق وعمّق وحقّق . الّا انّهُ افرط في وجود الالفاظ السريانيّة المعرّبة . فانّ عدد ما نسبهُ الى الاصل السريانيّ من الالفاظ العربيّة يبلغ مئات من الكلمات وذلك لزعمهِ الوهميّ انّ العرب قديمًا لم يكن عندهم شيء من لوازم العيشة الحضريّة كالعمارة واللباس والطبخ والسفر والصيد والفلاحة والتجارة وركوب البحر وسياسة المدن والصنائع كلّها . وانهم بعد ذلك اتّخذوا هذه الاشياء من السريان ومعها اسماءها * ومع ذلك فقد فات هذا المفتش كلمات كثيرة مشهورة هي بالحقيقة سريانيّة الاصل * فسبحان من استأثر بالكمال وحدهُ * وليست هذه اوّل غرابة اتى بها علماء الافرنج

الباحثون عن اللغات الشرقيّة ولا سيّما الجرمانيّون مع انّ امّة الجرمانيّين تفوق تجلّدًا وتسهّنًا في الدرس والمطالعة العلميّة على سائر امم اوروبا *

شرح لوجه ٤٥ سطر ٣ من تحت

انّ تقسيم الاغاني البيعيّة الى ثمانية الحان يوجد ايضًا عند اللاتين وعند القبط وعند الارمن . ولا يخلو منهُ اليوم من الطوائف المسيحيّة الاّ الكلدان والموارنة * وهذا التقسيم الثماني اطّلع عليهِ علماء يونان القدماء *

شرح لوجه ٤٧ سطر ١

انّ من جملة الكتب الطقسيّة التي تستعملها البيعة اليونانيّة كتاب الصلوات القانونيّة او الفرضيّة وهو مجلّدات كثيرة كلّ منها لهُ اسم خصوصيّ * فممّا يستحقّ الذكر ان هذه الكتب لمّا رتّبتها البيعة القسطنطينيّة اقتدت بالبيعة الاورشليميّة كما يظهر من الرُبريكات اي التنبيهات المحشّاة بها هذه الكتب ليهتدي بها القارئ . اذ يقال فيها مرّات كثيرة « قد جرت العادة في فلسطين » وامثال ذلك من الاقوال التي تدلّ على انّ مؤلّفي الكتب التي كلامنا عنها جعلوا ما كان جاريًا في اورشليم وغيرها من بلاد فلسطين قياسًا وقدوة * وامّا السبب الذي حمل البيعة القسطنطينية ان تقتدي في هذا الامر بالبيعة الاورشليميّة فهو انّ هذه الكتب أُلّفت في الاصل لاستعمال الرهبان الساكنين في الاديرة العامرة كما يظهر من ربريكاتها اذ كثيرًا ما تُذكر فيها جماعة الاخوة اي الرهبان ويُذكر كيف يجب ان يخرجوا من قلاّياتهم ويذهبوا الى المعبد للصلوة ثم يرجعوا الى قلاّياتهم او يبقوا في الكنيسة بعد الصلوة فتُقرأ عليهم قراءة روحيّة وما الذي يجب ان ياكلوا ويشربوا في ايّام معلومة من السنة وكم يجب ان يكون مقدار اكلهم وشربهم ونومهم وما اشبه ذلك من الترتيبات التي لا تخصّ الاّ الرهبان المجتمعين في الاديرة * ولمّا كان

قد اشتهر في اورشليم الدير العظيم اليوناني الذي يقال له اللَّورة المسمى باسم مار سابا وفاق على كل اديرة بلاد الشرق وصار قدوة لاديرة أُخرى نشأت في اورشليم او في جوارها ومن جملتها دير مخصص للبوزنطيين اي القسطنطينيين ونبغ فيه اي في دير مار سابا المذكور اشخاص فضلاء الَّفوا في اليونانيَّة تصانيف بديعة لأعياد السنة وايامها الموسومة رأت البيعة القسطنطينيَّة ان تحذو حذو هذا الدير في ترتيب كتب صلواتها القانونيَّة وتضمنها مؤلفات رهبانه المذكورين مع مؤلفات غيرهم من الائمة والفضلاء * ولم تفعل البيعة القسطنطينيَّة ذلك من باب التصاغر للبيعة الاورشليمية والانقياد لها . لان اورشليم بالصعوبة الشديدة نالت درجة البطريركيَّة. وكانت بقيَّة الكنائس تحترمها لا تنقاد لها لسبب انها هي المدينة التي فيها يسوع المسيح قضى رسالتهُ الالهيَّة * ولنا اسوة في البلاد الغربيَّة ببيعة رومية اذ نعلم من التواريخ ان هذه البيعة مع انها ام الكنائس ومعلمتهن اتخذت عوائد كثيرة طقسيَّة من كنائس اخرى ولا سيما كنائس فرنسا واسبانيا وادخلتها في طقسها * واما ان كتب الصلوات القانونيَّة اليونانيَّة عُملت في البيعة القسطنطينيَّة لا في البيعة الاورشليميَّة نفسها كما يمكن ان يتوهم الواحد فذلك واضح من ربريكات الكتب نفسها . من ذلك ما يقال في مفتتح صلاة يوم الاثنين الاوَّل من الصوم وهو «يجب ان نعلم انهُ في لَورة ابينا القديس سابا لا نصلي (نحن الاخوة) صلاة العشاء في الكنيسة لكن كل واحد منا يصلي في قلايتهِ . كذا تسلمنا . واما في اديرة فلسطين فنصلي صلاة العشاء هكذا . . . . و بلغنا انهُ في فلسطين كل واحد يتلو الزبور في قلايتهِ» * وفي ربريكات الجمعة العظيمة يقال «بلغنا انهُ في فلسطين لا يُصنع في هذا اليوم المقدس يوم الجمعة العظيمة ليترجيَّة كاملة ولا بروايجيسمينه» * ومما يؤكد ان هذه الكتب صُنعت في البيعة القسطنطينيَّة انهُ فيها مرسوم ان يُقدَّس تارةً بليترجيَّة باسيليوس وتارةً بليترجيَّة فم الذهب

لا غيرها . ومن المعلوم ان هاتين الليترجيتين كانتا خاصتين للبيعة القسطنطينية كما اقر بلسمون البطريرك الانطاكي العالم المشهور في قسطنطينية نفسها * وكيفما كان الامر فان مما لا شك فيهِ ان هذه الكتب اليونانية جاءت الى البيعة الانطاكية من خارج *

ونرى انهُ لا يخلو من الفائدة ان تُعرف اسماء الاشخاص الذين اتخذت البيعة القسطنطينية مؤلفاتهم مع مؤلفات الرهبان السابويين الذين تقدم ذكرهم وادرجتها في كتبها القانونية . ونحن نكتفي بما في واحد من هذه الكتب وهو الكتاب الذي يقال لهُ التريوذيون الحاوي صلوات الصوم الكبير والحاش : فهاك اسماء المؤلفين الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب : يوحنا الدمشقي . قزما . يوسف . ثاودورس الستودي . واكثر اجزاء الصلوات القانونية لليونان هي من تأليف هؤلاء . ثم اندراوس اسقف اقريطش الذي يقال لهُ الاورشليمي . ثاوفنيس . لاون الفيلسوف ملك قسطنطينية . يوحنا السلمي . جرجس . اغناطيوس . اسطفانس . سمعان المتفرستي اي المفسر . اندراوس الاعمى * و يُذكر فيهم احد الاساقفة ما عدا اندراوس الاقريطشي وهو مرقس اسقف هِذرُنتا . وكرلس الاسكندري . وايضاً مار افرام السرياني . بل ان بينهم نساء . منهن كاسيا . وكسيانا الراهبتان * وهنا فليعتبر القارئ اللبيب كم هي محدثة كتب الصلوات القانونية التي تستعملها البيعة اليونانية . فان معظمها هو من تأليف القديس يوحنا الدمشقي الذي تُوفي بعد منتصف القرن الثامن . بل ان فيها ما هو من مؤلفات ثاودورس الستودي الذي كان رئيس رهبان في القسطنطينية وتُوفي سنة ٨٢٦ ولاون الفيلسوف الذي تُوفي في مبادئ القرن العاشر * وليس هذا الملك وحدهُ من ملوك قسطنطينية لهُ يد في تأليف الكتب الطقسية اليونانية . بل يُذكر ايضاً باسيليوس الملك الذي عاش في القرن التاسع . واحدى الملكات ايضاً وهي ايرينه الملكة التي اشتهرت في القرن

الثامن بجمالها الفائق وادبها ودهائها *

هذا هو الطقس اليوناني الذي أُلزمت البيعة الانطاكية الملكية ان تتّخذهُ من بعيد اي من اهل قسطنطينية . ولولا ذلك لوُجدت اليوم هذه البيعة تستعمل الطقس الذي هو عند السريان . وطقس السريان هذا لا يقدر انسان خالٍ من الغرض ان ينكر انهُ هو اقدم من الطقس اليوناني * اما الروم فيقرّون بذلك لانهم يعترفون انّ ليترجية مار يعقوب التي يستعملها السريان الى اليوم هي اقدم من ليترجيتَي فم الذهب وباسيليوس القدّيسين * ولكن لنترك مسالة الليترجية ولنأتِ الى كتب الصلوات القانونيّة التي كنّا الساعة في صددها . فنقول انّ الصلوات القانونيّة التي لطقس السريان معظمها العظيم هو حاصل من مؤلّفات مار افرام السرياني اي المداريش كلّها الاّ ما لا يُحتفَل بهِ واكثر القالات والعنيانات وجانب كبير من الباعوثات . وكل احد يعلم ان مار افرام عاش في القرن الرابع وانهُ هو اقدم ملفان استعملت الكنيسة مؤلفاتهِ في طقسها البيعي . بل يشهد المؤرّخون ان اناشيد مار افرام وسائر مصنّفاتهِ كانت تُقرأ وترتَّل في الكنائس وهوَ بعد في قيد الحيوة * ويحوي ايضاً طقس السريان شيئاً كثيراً من مصنّفات الافاضل السريانيين الذين عاشوا قبل مار افرام . منهم شمعون برصبّاعي اسقف المدائن الذي استشهد في مبادئ القرن الرابع ومار وثا اسقف ميافارقين الذي اشتهر بعد ذلك الزمان بقليل * واما اصحاب الباقي القليل من اجزاء الصلوات القانونيّة للسريان فمنهم مار بالاي صاحب الباعوثات المسمّاة باسمهِ الذي لا يُعرَف بالتاكيد في اي زمان عاش . ومنهم القديس رابولا اسقف الرها صاحب التخشفتات . ومنهم مار اسحاق الانطاكي صاحب الميامر . ومنهم يعقوب السروجي صاحب الباعوثات البديعة . ومنهم ساويرا البطريرك الانطاكي صاحب المعانيث . وهؤلاء كلهم عاشوا في القرن الخامس *

ومن الذين اشتغلوا في القرن السادس والسابع بتصنيف اجزاء الصلوات القانونيّة لطقس السريان وترتيبها الفوقيّون وهم صنف من الشعراء كان لهم إمام يُقال لهُ شمعون الفوقي صنفوا بابدع مايكون من اساليب الفصاحة والبلاغة قصائد كثيرة جمّة على ضرب خصوصي من الشعر مزينة بها كتب الصلوات الطقسيّة لدى السريان ويقال لها الفوقاي . ومنهم يعقوب الرهاوي الذي هو من اعظم ائمة الامّة السريانيّة . ومنهم يوحنّا البطريرك صاحب السذرات اي الحسّايات التي هي جزء من الصلوات القانونيّة في طقس السريان الغربيين * ونشهد خزائن الكتب التي في مدن اور وبا الشهيرة ولا سيّما لندن كم قديمة المصاحف السريانيّة المحفوظة الى اليوم الحاوية الصلوات القانونيّة بحسب طقس السريان . فان منها كثيرًا ما هو قديم من القرن التاسع (طالع المجلد الاوّل من فهرست الكتب السريانيّة التي في خزانة لندن التي يقال لها British Museum) - . ولا نظن ان الكتب اليونانية الطقسية المحفوظة اليوم تصل الى هذا القدم * وعلى كل حال فالكتب الطقسيّة الملكيّة يونانيّة او سريانيّة لا يمكن ان تكون اقدم من القرن الثاني عشر او اكثر ما يكون الحادي عشر لانهُ في نحو ذلك الزمان اخذ الطقس اليوناني قرارًا في البيعة الملكيّة الانطاكيّة * والحاصل انهُ لمّا كانت اللغة السريانيّة هي اقدم من اليونانيّة في الاستعمال الطقسي كما بيّنّا كل البيان الثاني في هذه الرسالة فلا غرو ان يكون الطقس السرياني اقدم من الطقس اليوناني * ونختم كلامنا في الطقس السرياني بفائدة واحدة جليلة . وهي ان فصول الاناجيل المقدّسة هي مقسّمة على مدار السنة في هذا الطقس بما لا يوصف من الحكمة والذوق والفرز مما لا نجده في بقيّة الطقوس الشرقيّة والغربيّة *

شرح لوجه ٥٠ سطر ٩

ان هذه الحقيقة التاريخيّة اي كون الطقس اليوناني اصلهُ من البيعة

القسطنطينية هي مقرّرة لدى جميع العلماء الذين بحثوا عن الامور البيعية اليونانية قاطبة . ولا نعلم انّ احدًا منهم انكرها او شكّ فيها الى اليوم ولو لم يبلغنا ان قومًا في بلاد الشرق ينكرونها لما كلّفنا نفسنا مؤونة بيانها بكل هذه البراهين الكثيرة المتصلة . كلّ ذلك لعلّ المنكرين تسطع عليهم هذه الحقيقة التاريخية بكل ضيائها فيزول عن بالهم كل شكّ وكل اشتباه فيها * ولو اردنا ان نعدّ اسماء جميع العلماء الذين قرّروا في كتبهم هذه القضية لطال بنا المجال . لكن طالع في كتاب الصليب الواتِكاني للكردنال اسطفانس برُجيا الحاشية التي في وجه ١٢٦ والقاموس اللاهوتي لبرجيار في لفظة ليترجيّة *

شرح لوجه ٥١ سطر ٥

انّ بلسمون الذي كان بطريركًا على انطاكية للملكيين في القرن الثاني عشر وكان ساكنًا في قسطنطينية يشهد انهُ في زمانهِ كانت الكنائس الملكية كلّها في سورية قد تبعت البيعة القسطنطينية بالتقديس بليترجيتي باسيليوس وفم الذهب . وانهُ لمّا قدم مرقس بطريرك الاسكندرية الى القسطنطينية واراد ان يقدّس بليترجية بيعتهِ منعوهُ من ذلك والزموهُ ان يعد بين يدي الملك بان لا يقدّس فيما بعد الاّ تبعًا للبيعة القسطنطينية * طالع كتاب اسطفانس برجيا في الصليب الواتِكاني وجه ١٢٧ *

شرح لوجه ٥٢ سطر ١٠

ممّا يختصّ بهِ طقس البيعة اليونانية اي القسطنطينية من بين طقوس سائر البِيَع كلّها انها اي البيعة اليونانية تحتفل بذكر قيامة المسيح في آحاد السنة كلّها من دون ان تستثني منها الاّ أحدًا واحدًا فقط وهو احد السعانين * وفي طقس السريان الغربيين اي اليعاقبة والموارنة شيء من ذلك . فان آحاد السنة في هذا الطقس هي مخصّصة لذكر قيامة المسيح من احد

الفصح الى الاحد السابق لتقديس البيعة الذي هو الاحد الاخير من تشرين الاوّل . واما بقية آحاد السنة فيحتفل فيها بأسرار أخرى من أسرار الديانة بمقتضى اختلاف الازمان * ثمّ انّ مما يستغرب في طقس اليونانيين انهم في جمعة الحاش التي يقال لها الجمعة الكبيرة والتي هي مخصّصة لذكر آلام المسيح وصلبه ليس عندهم طقس السجود للصليب مع ان هذا الطقس هو موجود عند اللاتين والسريان والموارنة والكلدان والارمن والقبط . وكان ايضًا موجودًا في البيعة الانطاكيّة قبل ان تبعت البيعة القسطنطينية كما تشهد المعانيث اليونانيّة التي ألّفها ساويرا بطريركها في القرن السادس * ونجد ايضًا في الكتب الطقسيّة التي تستعملها كل البيع الشرقيّة طقسًا آخر يسمّى طقس دفنة الصليب يقضى ايضًا في يوم الجمعة المذكورة . وهذا الطقس الآخر ايضًا لا نجده في كتب البيعة اليونانيّة * واعلم ان اليونانيين يذكرون الصليب ذكرًا خصوصيًّا هم والسريان الغربيّون في الاسبوع الرابع من الصوم الكبير ولا سيّما يوم الاربعاء الذي هو منتصف الصوم * ومما يستحق الذكر في كتب الطقس اليونانية انّ الذين ألّفوها لم يدرجوا فيها قصائد شعريّة منظومة على نسق الشعر اليونانيّ الفصيح الّا نادرًا جدًّا . واما اللغات السريانيّة واللاتينيّة والارمنيّة المكتوبة بها سائر الطقوس فزيّنت كلّ منها طقسها وطقوسها بأبدع ما يكون من القصائد المنظومة بموجب ما تقتضيه فصاحة كلّ منها * الّا انه لا ينكرانّ في الاناشيد المنثورة المحلّى بها الطقس اليونانيّ أسلوبًا حسنًا من الوشي يجعل للنثر شيئًا من رونق النظم وهو انّ كلّ بيت منها هو مؤلف من أجزاء محدودة كل جزء منها حاصل من مقدار معدود من الحركات بدون فرق بين الخفّة والثقل اي الطول والقصر خلافًا لما تقتضيه قواعد النظم في اليونانيّة كما في العربيّة . ولكن مع ذلك ففي اناشيد الطقس اليونانيّ من البديع ورقّة المعاني وسموّها وأساليب البلاغة ما يفوق كل وصف . حتى انه عندما يقرأ الواحد هذه

الاناشيد العجيبة يخال لهُ ان مؤلّفيها لم ينطقوا بها الاَّ من إلهام علويّ هيَّج كلّ جوارحهم * ومن خواصّ الذين أَلَّفوا كتب الطقس اليوناني دون مؤلّفي سائر الطقوس انّهم كثيرًا ما اذا مدحوا بطرثون اطرآء شديدًا بوجه البلاغة الذي ادبآء اليونانيّين القدمآء سمّوهُ المبالغة الاسياويَّة *

شرح لوجه ٦٢ سطر ٢

مما تتميّز بهِ الكنائس الشرقيّة من الكنيسة الغربيّة انها اي الكنائس الشرقيّة عندها طقس خصوصيّ لسرّ المشحة يسمّى طقس القنديل وهو ان يجتمع في الكنيسة جملة من القسوس ويحضروا زيتًا ويصلّوا عليهِ صلوات طويلة ثم يدهنوا بهِ المرضى الحاضرين الطالبين ذلك * ولكن هذا الطقس لا تعرفهُ بيعة الكلدان . ومن ذلك يجوز لنا ان نستنتج انّ هذا الطقس بالصورة التي هو عليها اليوم هو احدث من القرن الخامس الذي فيهِ انفصلت الامّة الكلدانيّة بحجّة النسطرة من البيعة الكاثليكيّة * ويوجد اليوم ابواب اخرى من الفرق بين الشرقيّين والغربيّين . اشهرها في ما يخصّ الخطبة والزيجة * ولا حاجة الى التنبيه انّ جانبًا كبيرًا من الفرق الموجود اليوم في العوائد الشرعيّة والطقسيّة بين الكنائس الشرقيّة والكنيسة الغربيّة انّما هو حاصل من انّ البيعة الغربيّة غيّرت شيئًا من العوائد القديمة في الازمان المتأخّرة لانّ الاحوال اقتضت ذلك . اذ انّ الرسوم البيعيّة سواء كان الطقسيّة ام الشرعيّة لم يرسمها آبآء البيعة الاَّ لخير المؤمنين ومنفعتهم . فاذا اقتضى خير المؤمنين ومنفعتهم تغيير شيء من هذه الرسوم بسبب تغيير الازمان والاماكن فعلت البيعة ذلك من دون توقّف . اذ هي الامّ الرؤوم ولها من المسيح سلطان ان تغيّر الرسوم الدينيّة التي هي ليست من جوهر الديانة وتتدبّر فيها بالتشديد او التسهيل او النسخ او ما اشبه ذلك بمقتضى اختلاف احوال الناس والازمان *

تذييل ثانٍ

شرح لوجه ٢٢ سطر ٤

انَّ من آثار اللغة السريانيَّة الباقية في العربيَّة التي تستعملها العامَّة في بلاد الشام وسائر البلاد التي كان اهلها يتكلَّمون يومًا بالسريانيَّة انَّهم يزيدون مع الاسم الداخلة عليهِ اللام ضميرهُ مقرونًا بلام اخرى فيقولون مثلًا قلنا لها للمعلّمة وودّي لهُ ليوسف بدل قلنا للمعلمة ووَدّي ليوسف * ويفعلون كذلك بالمفعول بهِ اي يزيدونهُ لامًا ويقرنون عاملهُ بضميرهِ زيادةً . فيقولون مثلاً القطّ أكلها للجبنة والحراميَّة ضربوهُ للبوّاب بدل القطّ أكل الجبنة والحراميَّة ضربوا البوّاب . كل ذلك تبعًا لعادة اللغة السريانيَّة *

شرح لوجه ٤٥ سطر ٦

الامور الخمسة المشار اليها هنا هي التي تبتدئ من قولهِ وجه ٤٤ سطر ٦ «ونقسم صلاة الليل الفرضيَّة» الخ *

شرح لوجه ٤٩ سطر ١

انَّنا من مؤلَّفات ساويرا البطريرك الانطاكيّ المحفوظة الى اليوم في اللغة السريانيَّة نعلم ايضًا انَّ البيعة الانطاكيَّة في مبادئ القرن الخامس كان لها كلندار مختلف من كلندار اليونانيّين المعلوم اليوم . والمفهوم انَّ الكلندار يراد بهِ ترتيب ايام السنة باعيادها وتذكاراتها واصوامها . وانَّها اي البيعة الانطاكيَّة كانت تستعمل للعماد طقسًا مختلفًا جدًّا من الطقس الجاري اليوم عند اليونانيّين * وانهُ كان عندها كذلك طقس للقدَّاس السابق تقديسهُ مختلف اختلافًا معتبرًا من الطقس الشائع اليوم عند اليونانيّين لهذا القدَّاس وهو المنسوب الى مار غريغوريوس * الى غير ذلك *

وقد قرأتُ في كتاب قديم للسريان انّ البيعة الانطاكيّة كان من عادتها في زمان ساويرا البطريرك هذا ان تدهن الاسقف بدهن الميرون في رسامته . ولكن هذا الخبر يحتاج الى تحقيق * وليذكر القارئ الكريم ان ساويرا الذي كلامنا عنهُ كان يونانيًّا لغةً *

شرح لوجه ٧٤ سطر ١٧

اذ كان الكتاب قريبًا ان يصدر من المطبعة علمنا من ثقة ذي فضل انّ الذين استخرجوا الكتب الطقسيّة اليونانية الى اللغة الصقليّة لاستعمال البيعة الروسيّة اي المسكوبيّة لم يبقوا في الطقس شيئًا باللغة اليونانيّة بل جعلوهُ برمّته صقليًّا الاّ عبارتين فقط تركوهما باللغة اليونانيّة . احداهما كيريا اليسون تقال في رسامة القسوسيّة فقط . والاخرى تُنْ ذِسپوتين أرخِيَريا الخ التي تقال عندما الاسقف او رئيس الدير يبارك الجماعة * ومما يُذْكر انّ الذين استخرجوا الكتب الطقسيّة اليونانيّة الى العربيّة لم يحسبوا كلمة كيريا اليسون عبارةً طقسيّةً رسميّة . فانّها لا توجد غالب الاحيان بنفسها في ليترجيّة القدّاس العربيّة المطبوعة في رومية وويَنّا . لكن يوجد بدلها يارب ارحم في العربيّة *

تم الذيل

كتاب القصارى

في حل ثلاث مسائل تاريخية تتعلق ببلاد الشام وما يجاورها

وفيه شرح طويل في الطقوس المسيحية

من قلم الحقير

اقليميس يوسف داود

مطران دمشق على السريان

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨٦

بالرخصة الرسمية من مجلس المعارف في ولاية سورية الجليلة

يباع في مكتبة جمعية مار منصور بيروت